المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة





خَصَائِصُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

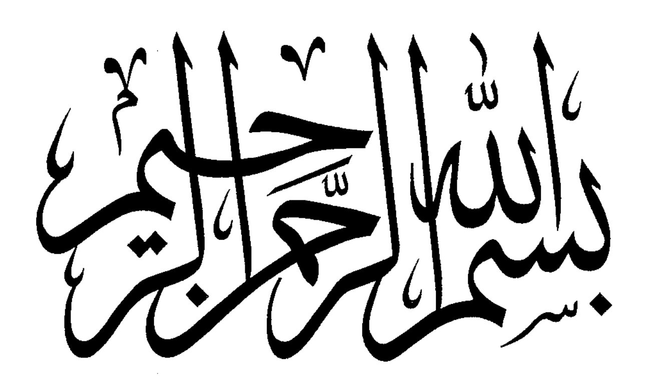
دراسة وبيان

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب: صالح بن عبد الرحمن بن براهيم الدخيل

الرقم الجامعي: ٤٢٠٧١٧٩٦

إشراف فضيلة الدكتور: عبد العزيز بن عبد اللطيف المرشدي


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص بحث

(خصائص أهل السنة والجماعة)

التعريف بأن لفظ : الجماعة. السلف . أهل الحديث . أهل الأثر. الفرقة الناجية . الطائفة المنصورة . ألفاظ مترادفة كل لفظ يؤدي معنى لفظ لآخر.

تلقي أهل السنة والجماعة وإستدلالهم بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في مسائل لاعتقاد وغيرها عدم التفريق بين المتواتر والآحاد في مسائل الاعتقاد وان خبر لواحد يفيد العلم.

اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله تقديم منهج السلف فهم غيرهم استدلال أهل السنة والجماعة بالعقل الصحيح. فللعقل السليم عندهم منزلة.الفطرة دلالة الفطرة السليمة على مسائل الاعتقاد اتصاف أهل السنة والجماعة بالعدل والانصاف فيما بينهم ومع خصومهم. التعبير عندهم بما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكونه خالصة لله وحد. يتحلون بالصبر والأخلاق الفاضلة. يحافظون على جمع كلمة المسلمين على الحق ويحذرون من الولوج في الفتن. يمنعون من الخروج على ولآة أمرهم عقيدتهم واضحة وصافية ذكر أحاديث في الأمر بالجماعة وذم التفرقة سرد بعض الآثار عن السلف في تأليف القلوب وجمع الكلمة.

The Treatise in brief

The characteristics of Allah Al Sonnah wa Al Gama'ah To prove that the term 'Al Gama'ah , Al Salaf, Ahl Al Hadeeth, Ahl Al Athar , Al Ferquah Al Najeyah, Al Taeifah AL Monsourah.
Are all synonymous terms because every term leads to the same meaning.
Ahl Al Sounah wa Al Gama'ah's learing and deduction from the Holy Qura'an and Al Sounah show that they do not differentiate between both of them in the principles of belief and faith. They do not different ciate between them in recurrent (motawater) and mono narrated (a'had) in belief principles either.
They say that the monorated hadeeth is satisfactory to inform
The context of The Holy Qura'an and Al Sonnah contain all the religion.
Al salaf approach is preferred to any other approach.
The deduction of Ahl Al Sounah and Al Gama'h by the right reason for belief bases because these right beliefs match the right transcription. So, reason has a high status to Al Sounah
Moral constitution (Fetrah) and the denotation of the right moral constitution on the belief principles.
Ahl Al Sounah Wa Al Gama'ah are characterized by justice and equity
Among themselves and between themselves and others.
They worship Allah according to Sharia of Allah and his prophet (peace be upon him). Worship is devoted purely to Allah only.
They are characterized by patience and good morals
They work for Muslems' union and try to lead Muslems to the right path. They also warn against riot and commotion.
They refuse to revolt against their rulers and governors.
Their beliefs and dogma are clear and pure.
Maintaining "Ahadeeth" narrations to stick to Al Gama'ah and to dispraise disunity.
To narrate and report some of the traditions about Al salaf in making peace with hearts and reconciling people in one status and one word.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1]، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[2]، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم إن كل علم يشرف بشرف المعلوم وعلم التوحيد هو أشرف العلوم على الإطلاق، فإنه يبحث فيما يجب على العبد تجاه ربه في

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠-٧١.

إفراده بربوبيته وألوهيته، وما اختص به سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ولهذا من تدبر أحوال العالم وجد أن كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله[1].

لذا فإن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وأمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهى عن الإشراك بالله، وبين أن أعظم الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك، كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2].

وقد حذرنا الله تعالى من هذا الشرك في آيات كثيرة جدا، منها قوله تعالى فيما أخبر به عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾[4].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/ ٢٤، ١٨/ ١٦٢).

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٨.

وكذلك حذرنا منه نبينا ﷺ ونهانا عن كل سبب يوصل إليه، كما قال رسول الله ﷺ: (قال الله تباك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[1].

ولقد تركنا نبينا ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وما من شيء يقربنا إلى الله إلا أمرنا به، وما من شيء يبعدنا عنه إلا حذرنا منه.

وهكذا مشى على نهجه من جاء بعده من الصحب الكرام ﷺ والتابعين لهم بإحسان، فاقتفوا أثره في معرفة الله وتوحيده، وفي أمور دينهم كلها.

ثم حمل ذلك العلم النافع علماء مخلصون ، قاموا بنشر العقيدة الصحيحة ، وذادوا عن حياضها، وقمعوا البدع وأهلها ، وتصدوا للرد على شبهات المبطلين، فهتكوا أستارهم، وكشفوا عوراتهم ، وأفردوا لذلك المصنفات والمؤلفات العظيمة التي تفخر بها الأمة الإسلامية، فلله درهم ما أعظم أثرهم في استقامة هذه الأمة على نهج نبيها، وما أروع جهادهم الذي خاضوه لبيان الحق ورد الضلالة.

وما أحسن ما وصف به الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة تلكم الآثار في الأمة حيث يقول: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ٤/ ٢٢٨٩، رقم: ٢٩٨٥، من حديث أبي هريرة.

الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا أعنة الفتنة[1].

ففي كل زمان يهيئ الله تعالى لهذا الدين رجالا ينافحون عنه، ويظهرون السنة ويقمعون البدعة، ويقومون بإرشاد الناس إلى الدين، ويهدونهم إلى صراط مستقيم.

فحري بكل مسلم التطلع إلى الأمور التي جعلت أئمة السلف يتميزون به عن غيرهم .

وحيث إن الله سبحانه وتعالى قد من علي ـ فضلا منه وتكرما ـ بالقبول في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، لمواصلة دراستي العليا لنيل درجة الدكتوراه، رأيت من المناسب في وقتنا المعاصر إبراز أهم خصائص أهل السنة والجماعة وما يتميزون به عن غيرهم من الفرق والمذاهب المنحرفة سواء في الاعتقاد أو السلوك، وقد جعلت عنوان هذه الرسالة : "خصائص أهل السنة والجماعة دراسة وبيان" .

---

(١) من خطبة الإمام أحمد في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية.

أولا: أهمية الموضوع.

١ـ القيمة العلمية لهذا الموضوع ، إذ هو يبحث في أمور الاعتقاد.

٢ـ إن المادة العلمية لهذا الموضوع مفرقة في بطون الكتب ، فتحتاج إلى جمع ودراسة وبيان.

٣ـ بيان انحراف الفرق الضالة وبعدها عن الحق من خلال دراسة خصائص أهل السنة والجماعة.

٤ـ وصل حاضر هذه الأمة بماضيها من خلال ما كان عليه أهل السنة والجماعة.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع.

١ـ حاجة الأمة لمعرفة خصائص أهل السنة والجماعة التي تميزهم عن غيرهم .

٢ـ التعريف بمصادر أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال.

٣ـ بيان التطبيق العملي والسلوكي لهذه الخصائص والمميزات.

٤ـ رغبتي في دراسة خصائص أهل السنة والجماعة.

٥ـ عدم وجود بحث علمي متكامل ـ حسب علمي ـ يجمع هذه الخصائص مع دراستها وبيانها.

٦ـ حرص جامعة أم القرى على دراسة مثل هذه الموضوعات العلمية ممثلة في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين.

ثالثا: خطة البحث.

المقدمة: وفيها ذكر أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج العام الذي سرت عليه وخطة البحث.

الباب الأول: تعريفات وأدلة

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تعريف الخصائص.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخصائص لغة.

المبحث الثاني: تعريف الخصائص اصطلاحا.

المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن التصنيف في الخصائص.

الفصل الثاني: تعريف السنة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف السنة *لغة*.

المبحث الثاني: تعريف السنة اصطلاحا.

الفصل الثالث: تعريف الجماعة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة.

المبحث الثاني: تعريف الجماعة اصطلاحا.

الفصل الرابع: تعريف أهل السنة والجماعة ومفهومها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأصل في التسمي بأهل السنة والجماعة
المبحث الثاني: تعريف أهل السنة والجماعة.
المبحث الثالث: مفهوم أهل السنة والجماعة.

الفصل الخامس: ألقاب أهل السنة والجماعة.

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:
المبحث الأول: أهل الجماعة.
المبحث الثاني: السلف.
المبحث الثالث: أهل الحديث.
المبحث الرابع: أهل الأثر.
المبحث الخامس: الفرقة الناجية.
المبحث السادس: الطائفة المنصورة.
المبحث السابع: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة.

الباب الثاني: خصائص أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال

وفيه تمهيد وسبعة فصول:
التمهيد: مصادر التلقي عند السلف إجمالا.
المبحث الأول: المصدر الأول: القرآن الكريم.
المبحث الثاني: المصدر الثاني: السنة.
المبحث الثالث: المصدر الثالث: الإجماع.
المبحث الرابع: منزلة العقل عند السلف.
المبحث الخامس: الفطرة.

الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ .

المبحث الثاني : رد التنازع إلى الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: دلالة نصوص الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله.

المبحث الثاني: الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: التسليم للنصوص عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة وعدم التفريق بينهما .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المتواتر والآحاد.

المبحث الثاني: إفادة خبر الواحد العلم .

المبحث الثالث: العمل بالأخبار الصحيحة في العقائد والأحكام.

الفصل الرابع: دلالة الإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الإجماع على مسائل الاعتقاد.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاتباع.

المبحث الثاني: الأمر بالاتباع.

المبحث الثالث: الاتباع في العمل ونماذج من ذلك.

المبحث الرابع: الاتباع في الاعتقاد مع إبراز الجانب العملي فيه.

المبحث الخامس: الاتباع في القول مع إبراز الجانب العملي فيه.

الفصل الثاني: الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار مع الأمثلة العملية لذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة الصحابة إجمالا.

المبحث الثاني: منزلة الاقتداء عند الصحابة.

المبحث الثالث: الاقتداء عند التابعين.

الفصل الثالث: الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء.

المبحث الثاني: حقيقة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: حكم الولاء والبراء.

المبحث الرابع: ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالكفار في الولاء والبراء.

الفصل الرابع: تحذيرهم من المحدثات والبدع وذمهم لها، وموقفهم العملي من أهل البدع والأهواء.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البدعة.

المبحث الثاني: خطورة البدعة وذمها وموقف السلف من أهلها.

المبحث الثالث: حكم البدع وأنواعها ومراتبها.

المبحث الرابع: موقف السلف من تقسيم البدع إلى حسنة وسيئة.

الفصل الخامس: توسطهم بين الإفراط والتفريط مع بيان نماذج عملية لذلك.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوسطية.

المبحث الثاني: تعريف الإفراط والتفريط.

المبحث الثالث: وسطية هذه الأمة بين الأمم.

المبحث الرابع: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق.

الفصل السادس: قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصبرهم على الأذى فيه.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: الحكم المستفادة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الرابع: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الخامس: مراتب تغيير المنكر.

ثم الخاتمة.

وأتبع ذلك بفهارس علمية أجملها فيما يلي:

١ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٣ـ فهرس الآثار.

٤ـ فهرس الأعلام.

٥ـ فهرس الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.

٦ـ فهرس المصادر والمراجع.

٧ـ فهرس الموضوعات.

رابعا: المنهج العام الذي سرت عليه في البحث.

حاولت الاستقصاء في جمع خصائص أهل السنة والجماعة من حيث التأصيل، والأصول التي تنبني عليها الأحكام الأخرى، مستشهدا في ثنايا البحث بجملة من نصوص الكتاب والسنة ، ولا ألتزم باستقصاء ذلك؛ لأن المقصود منه إثبات أصله، ثم أعضد ذلك بأقوال أهل العلم ، وبعض الآثار الواردة في الباب التي تثبت الأثر العملي لذلك التأصيل العلمي، وهذا من أعظم ما يميز به السلف عن غيرهم ، فقد جمعوا بين الجانب العلمي والجانب العملي.

إلا أنني أريد أن أنبه على أمور:

١ـ الاقتصار في هذا البحث على بيان مذهب أهل السنة والجماعة في عد المسائل إلا ما أدت إليه الحاجة من بيان آراء المخالفين.

٢ـ إذا خالف آحاد أهل السنة في مسألة من المسائل ، فالعبرة بما يؤيده الدليل الشرعي، وهو الذي اعتمدت عليه في بحثي.

٣ـ إذا وافق بعض أهل الأهواء أو المخالفين في مسألة من المسائل لمذهب أهل السنة والجماعة، فالعبرة بما عليه أهل السنة والجماعة، لأنهم عدوا تلك المسائل أصولا ، ولا يمنع من كون ذلك من خصائص أهل السنة ؛ فإن لهم قصب السبق في تأصيل ذلك، وغيرهم تابع لهم إذا وافقوهم.

٤ـ لم أتوسع في ذكر الخصائص في المسائل الجزئية ، وإنما اقتصرت على الخصائص المتعلقة بالكليات، وأصول الاستدلال وما يتبع ذلك،

وذلك أن الجزئيات إنما تجتمع بالكليات، فكان الأولى ضبط الكليات التي قررها أهل العلم في الاعتقاد وغيره.

وفي هذا البحث اتبعت الخطوات التالية:

١ـ اجتهدت في جمع المادة من مظانها من المصادر والمراجع.

٢ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ـ خرجت الأحاديث تخريجا موجزا، إلا ما دعت الضرورة إلى الإطالة فيه أحيانا.

وعند تخريج الحديث فإني اتبعت في ذلك ما يلي :

ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إلى موضعه في الصحيح.

ـ وإذا لم يكن الحديث في أحد الصحيحين، ذكرت من خرجه من أئمة السنة.

ثم ختمت ذلك بالحكم عليه حسب ما قرره وقاله أهل العلم بالحديث ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

٤ـ توثيق النقول من مصادرها، ونسبتها إلى قائلها.

٥ـ ترجمت للأعلام الذين يرد ذكرهم في هذا البحث ترجمة موجزة.

٦ـ فسرت الكلمات الغريبة التي ترد في البحث، وعرفت بالمصطلحات العلمية.

٧ـ عرفت بالفرق والطوائف والأماكن.

٨ـ ذيلت البحث بفهارس علمية حسب ما ذكرتها في خطة البحث.

والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شكر وتقدير

الشكر أولا لله سبحانه وتعالى على تيسيره وإعانته لإتمام هذه الرسالة، وله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

كما أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين على ما قدمت لطلابها من جهود جبارة ، أسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء.

كما أشكر المشرف فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف المرشدي على ملاحظاته القيمة، وصبره وجلده في تقويم الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة.

كما أنني أتقدم بالشكر للمناقشين على ما تفضلا به من قراءة هذه الرسالة، وإبداء الملاحظات القيمة عليها.

كما أتقدم بالشكر والدعاء لكل من وقف معي بجهده وعلمه وساعدني في إخراج هذا البحث.

أسأل الله أن يجزيهم جميعا خير الجزاء ، وأن يرفع منازلهم في الدنيا والآخرة، وأن يضاعف لهم الأجر، ويجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البَابُ الأَوَّلَ: تَعرِيفَاتٌ وأدِلَّةَ

وفيه خمسة فصول:

الفَصْلُ الأَولُ: تَعرِيفُ الخَصَائِص

الفَصْلُ الثاني: تَعرِيفُ السُّنَّة

الفَصْلُ الثالَث: تَعْرِيفُ الجَمَاعَة

الفَصْلُ الرابع: تَعرِيفُ أَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة ومَفْهُومُها

الفَصْلُ الخَامس: أَلقَابُ أَهلِ السُّنَّة والجَمَاعَة

الفصل الأول : تعريف الخصائص.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخصائص لغة.

المبحث الثاني: تعريف الخصائص اصطلاحا.

المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن التصنيف في الخصائص.

تمهيد:

مما لا ريب فيه أن معرفة المصطلحات العلمية المستخدمة في البحوث المعاصرة لها أهمية كبرى ، وذلك لمعرفة مدلول الألفاظ ، ومدى تطوره مع استعمالات العلماء والباحثين، بحيث يعطى كل مدلول ما يستحقه من معنى، ومن هنا تكمن أهمية رجوع طالب العلم إلى الأصل اللغوي لهذه المصطلحات، حتى يصح تنزيل المعاني المناسبة لتلك الألفاظ، ولعل هذا يجعلني أقدم الكلام على أصل هذه الكلمة اللغوي ، ثم أردف ذلك بالمعنى الاصطلاحي.

المبحث الأول: تعريف الخصائص لغة.

إن المتأمل في المعاجم اللغوية يجد أن هذه الصيغة "خصائص" لم تذكر عند المصنفين الأوائل بتعريف واضح، وإنما وجدتُ أول من أشار إليها - حسب علمي - صاحب كتاب محيط المحيط كما سيأتي النقل عنه، إلا أنني استأنست بذكر جمع من أئمة اللغة واستعمالهم لها، كابن جني[1]، حيث ألف مصنفا في اللغة أسماه الخصائص، والثعالبي[2] أيضا صنف فيها "خصائص اللغة"، وغيرهم من العلماء مما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله.

وهذا ما يجعل القارئ يطمئن لأصالة هذه الصيغة، وأنها مستخدمة من قبل أهل العلم باللغة وغيرها.

ثم بعد الكلام على الصيغة، سأتعرض إلى أصل اشتقاق الكلمة.

إن أصل كلمة : "خصائص" من خصّ.

(١) هو عثمان بن جني ، أبو الفتح ، الموصلي، إمام العربية، وصاحب التصانيف، ومنها: سر الصناعة واللمع، مات سنة ٣٩٢ هـ.

انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٣١١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٧)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٣١).

(٢) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، أبو منصور ، الشاعر، شيخ الأدب، من مصنفاته فقه اللغة، وسر البلاغة، وغيرها، مات سنة ٤٣٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٧)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٤)، مرآة الجنان (٣/ ٥٣).

قال ابن فارس[1]: "الخاء والصاد أصل مطّرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة"[2].

يقال: خصَّه بالشيء يخُصُّه خَصًّا وخَصوصاً، بالفتح في الأخيرين، ويضم الثاني، وخصوصية.

وقد اشتق من هذا عدة ألفاظ أذكر منها ما يهمني في هذا الباب:

ـ الخَصاصُ والخَصاصةُ: وهو الفرج بين الأثافي[3].

يقال للقمر: بدا من خَصاصة السحاب[4].

قال ذو الرمة[5]:

أصاب خصاصه فبدا كليلا كلا وارتغل سائره انغلالا[6]

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين العلامة المحدث النحوي الإمام، ولد سنة ٣٢٩ هـ، ومات بالري سنة ٣٩٥ هـ.

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١١٨ـ١٢٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٠٣ـ١٠٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (٢/ ١٥٢).

(٣) انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وغيره، (٤/ ١٣٤)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٥٢)

(٤) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ١٥٢).

(٥) هو غيلان بن عقبة بن بُهَيس المضري ، الملقب بـ : ذو الرُّمَّة ، شاعر من مشهور، مات بأصبهان عام ١١٧ هـ.

انظر: وفيان الأعيان (٤/ ١١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧)، البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣١٩).

(٦) ديوان ذي الرمة (٤٣٤).

وقيل: هو الخلل في الثغر، أو كل خلل وفرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه[1].

ويجعل بعضهم الخَصاصة للثقب الصغير والكبير[2].

وسمي الخص ـ وهو بيت من شجر ـ بذلك لما فيه من الخصاص، وهي التفاريج الضيقة[3].

وتطلق الخصاصة على سوء الحال والخلة والفقر[4].

ـ الخصوصية ـ والفتح فيها أفصح ـ، والخصية، والخاصة: وهي ما فضله دون غيره وميزه، وخصه بالود كذلك[5].

والخاصة: من تخصه لنفسك ضد العامة[6].

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: الترزي، (١٧/ ٥٥٠ـ٥٥١).

(٢) انظر: العين (٤/ ١٣٤)، المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد ، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ، (٤/ ١٥٧)، تاج العروس (١٧/ ٥٥٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: علي البجاوي وغيره، (٦/ ٥٥١)، القاموس المحيط للفيروزأبادي(٢/ ٤٤١).

(٤) انظر: العين (٤/ ١٣٤)، تهذيب اللغة (٦/ ٥٥١).

(٥) انظر: جمهرة اللغة (١/ ١٠٥)، الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٣٧)، القاموس المحيط للفيروز آبادي، بيروت، ١٤١٢ هـ، (٢/ ٤٤١)، لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٤).

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٤ـ٢٥)، مجمل اللغة (٢/ ٢٧٥)، تاج العروس (١٧/ ٥٥١ـ٥٥٣، ٥٥٥).

قال الخليل بن أحمد[1]: "الخاصة الذي اختصصته لنفسك"[2].

فيقال: خاصة الشيء ما يختص به ولا يوجد في غيره كلا أو بعضا[3].

ويقال أيضا: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد.

ـ الخصوص، والتخصيص: وهو التفرد ببعض الشيء مما لا تشاركه فيه الجملة[4].

ـ والخاصية: نسبة إلى الخاصة وهي جمع خاصيات، وخصائص على غير قياس.

ذكره صاحب محيط المحيط[5]، ولم أره عند غيره ـ حسب اطلاعي ـ، والله تعالى أعلم.

يتضح من خلال هذا العرض أن كلمة خصائص ترجع في معناها إلى التميز والتفرد، وهذا لا يعارض أصل الاشتقاق.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري، الإمام اللغوي، وهو منشىء علم العروض، عرف بالدين والورع والقناعة والتواضع، ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ، وبها مات سنة ١٧٠ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤ـ٢٤٨)، بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٥٥٧ـ٥٦٠).

(٢) العين (٤/ ١٣٤)، وانظر: المحيط في اللغة (٤/ ١٥٧).

(٣) انظر: الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تعليق: محمد المصري، (ص٤٢٢).

(٤) انظر: تاج العروس (١٧/ ٥٥١ـ٥٥٢، ٥٥٥).

(٥) محيط المحيط لبطرس البناني، مكتبة لبنان، طبع ١٩٨٣ م، (ص٢٢٥).

ولهذا قال ابن فارس: "لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره"[1].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٥٣).

المبحث الثاني: تعريف الخصائص اصطلاحا.

من خلال ما سبق عرضه من المصادر اللغوية يتضح لي أن معنى الخاصية والخصائص يدور على معنى الانفراد والفضل والتميز.

ولعل أقرب الكلمات المرادفة لكلمة الخصائص هي المزايا أو الميزات، والله أعلم.

فخصائص الشيء هي الصفات التي تميزه عن غيره وتفرده، وتظهر فضله على غيره.

فخصائص القرآن مثلا : هي كل ما يتميز به القرآن الكريم من كل وجه عن الحديث النبوي وعن الأحاديث القدسية، وسائر الكتب السماوية، وكلام البشر.

وخصائص النبي ﷺ أيضا هي الفضائل والمعجزات التي يتميز بها، وينفرد بها عن سائر الأنبياء والبشر.

وعلى هذا يكون تعريف خصائص أهل السنة والجماعة:

ما يتميز به أهل السنة والجماعة وما يفضلون به عن غيرهم، مما ينفردون به عن غيرهم في التلقي والاستدلال، وفي العمل والتطبيق، وفي السلوك والأخلاق.

المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن التصنيف في الخصائص.

بالنظر إلى ما صنف في شتى العلوم مما يحمل اسم الخصائص يتضح أن هذا اللفظ شمل أمورا عدة فمن ذلك ما ألف في العلوم التالية:

أ ـ في اللغة مثلا: الخصائص لابن جني.

خصائص اللغة للثعالبي.

ب ـ وفي الحديث والفقه والفضائل مثلا:

خصائص علي بن أبي طالب للنسائي[1].

خصائص مسند الإمام أحمد[2] لأبي موسى المديني[3].

---

(١) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني، النسائي، أبو عبد الرحمن، الحافظ، الإمام المحدث ، البارع الثبت ، شيخ الإسلام، وناقد السنة، ولد سنة ٢١٥، وطلب العلم ورحل إليه، له من المصنفات : السنن الكبرى و وغيرها، مات سنة ٣٠٣ هـ.
انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٧١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ١٢٧_١٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٢٣).

(٢) هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي، الشيباني، المروزي، البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، صاحب التصانيف العظيمة ، سيرته مشهورة، وأخباره معروفة، توفي سنة ٢٤١ هـ.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٥٤)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٥)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٦١)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥)، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي .

(٣) هو محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر ، أبو موسى المديني، الأصبهاني الشافعي، العلامة الكبير الحافظ الثقة، صاحب التصانيف المشهورة، كالطوالات وذيل معرفة الصحابة، مات سنة ٥٨١ هـ.

نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي[1].

ج - وفي السيرة والنبوات مثلا: خصائص النبي ﷺ لابن الملقن[2].

الخصائص الكبرى للسيوطي.

إلى غير ذلك من المصنفات[3]، ومع الاطلاع السريع عليها يجد القارئ أن ما حوته هذه المؤلفات لا يخرج عما ذكرته آنفا في المعنى الاصطلاحي.

وفيما نحن فيه فإن أهل العلم قد تعرضوا لذكر خصائص أهل السنة في ثنايا الكتب والمصنفات، فيجدها القائ مبثوثة في كتب العقائد:

انظر: الروضتين لأبي شامة (٢/ ٦٨)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٦)، العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/ ٢٤٦)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٥٢).

(١) هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد ، جلال الدين، أبو بكر، السيوطي ، الحافظ المشهور، ولد سنة ٨٤٩ هـ، وطلب العلم على مشايخ بلده ثم سافر إلى الشام والحجاز وغيرها، وكان مكثرا من التأليف، وقل أن تجد فنا ما صنف فيه، توفي رحمه الله سنة ٩١١ هـ.

انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٣٣٥)، الضوء اللامع للسخاوي (٤/ ٦٤)، شذرات الذهبي لابن العماد (٨/ ٥١)، البدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٢٨).

(٢) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي، المعروف بابن الملقن، من المحدثين الفقهاء، ومن أئمة الشافعية في القرن الثامن، له من المصنفات البدر المنير، وشرح البخاري، وغيرها، مات سنة ٨٠٤هـ.

انظر: ذيل الدرر الكامنة لابن حجر (ص١٢١)، إنباء الغمر له أيضا (٥/ ٤١)، الضوء اللامع للسخاوي (٦/ ١٠٠)، شذرات الذهبي (٧/ ٤٤).

(٣) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٧٠٥).

كالشريعة للآجري[1]، والإبانة لابن بطة[2]، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[3]، وغيرها .

ثم إن فيما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لغنية لطالب الحق في هذا الباب، وقد جمع كثيرا منها ابن القيم في الكافية الشافية.

إلى جانب ذلك فقد اهتم أهل العلم والباحثون في العصر الحالي في تعداد جملة منها في ثنايا الكتب والمؤلفات[4].

(١) هو محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، أبو بكر الآجري، الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب كتاب الشريعة، والغرباء ، مات سنة ٣٦٠ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٣)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣).

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، العكبري، أبو عبد الله، المعروف بابن بطة، الحنبلي، الإمام القدوة ، العابد الفقيه، المحدث ، شيخ العراق، مات سنة ٣٨٧ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١)، العبر (٣/ ٣٥)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩)، البداية والنهاية (١١/ ٣٢١).

(٣) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، أبو القاسم اللالكائي ، الإمام المفتي المجود الحافظ، له مصنفات كثيرة، مات سنة ٤١٨ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، تذكر الحفاظ (٣/ ١٠٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٤).

(٤) انظر على سبيل التمثيل: قواعد منهج السلف (ص٢٥٣)، وجوب لزوم جماعة المسلمين لجمال بادي (ص٢٨٥ فما بعدها).، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤١)، وغيرهم.

ولم أجد من جمع في هذا الباب شيئا على سبيل الاستيعاب[1].

وهذا ما دفعني للكتابة في هذا الباب ، وقد كفانا أهل العلم في هذا ، ولا يسع القارئ إلا أن يجتهد في جمع المشتت مع ترتيبه، مع التنبيه إلى أهمية هذه الخصائص في الرجوع بالأمة إلى مجدها الأول وذلك من خلال دراسة هذه الخصائص دراسة هادفة.

---

(١) من المحاولات التي ينبغي أن تذكر هنا : ما ذكره أحمد فريد في تأليفه لخصائص أهل السنة، والذي لا بد من التنبيه على أن له قصب السبق في هذا الباب.

الفصل الثاني: تعريف السنة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف السنة لغة.

المبحث الثاني: تعريف السنة اصطلاحا.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ورود لفظ السنة في نصوص الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: ورود لفظ السنة في كلام الصحابة.

المطلب الثالث: اصطلاحات السنة عند أهل العلم.

توطئة:

لقد تناول أهل العلم الكلام عن السنة من حيث التعريف بها والمراد منها عند الإطلاق، والاحتجاج بها، ومكانتها، ولم يقتصر الأمر على أهل الحديث منهم والمشتغلين به، بل لقد اشتملت مادة السنة على كتب الفقه وأصوله والعقائد، وكتب اللغة قبلها.

وسأحاول في هذا الفصل الاقتصار على بيان معنى السنة والاستعمالات الخاصة التي استعملت فيها، ومراد المحدثين والفقهاء وغيرهم منها، وسأتعرض قبل ذلك لمعانيها اللغوية.

المبحث الأول: تعريف السنة لغة.

السنة ـ بضم السين وفتح النون المشددة ـ مأخوذة من سنن.

قال ابن فارس: "السين والنون أصل واحد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة"[1].

والأصل فيها قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنا إذا أرسلته إرسالا.

ومما اشتق منه هذا الأصل: السنة.

وتطلق على معان:

ـ السيرة.

يقول في ذلك خالد الهذلي[2]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٦٠).

(٢) هو خالد بن أخت أبي ذؤيب، وهو ابن زهير الهذلي بن محروق. انظر: فصل المقال للبكري (ص٣٩٤ـ٣٩٥).

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها[1]

وإنما سميت بذلك ؛ لأنها تجري جريا.

ومن ذلك قولهم: امض على سننك، وسننك أي وجهك[2].

ـ الطريقة المستقيمة المحمودة أو السيئة.

وخصها بعضهم بالحسنة دون القبيحة[3].

قيل: السنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس ، فصار مسلكا لمن بعدهم.

ومن ذلك قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[4][5].

وهذان المعنيان؛ السيرة والطريقة هما الأصل في كلمة السنة، وإلا فلها معان أخرى استعملت فيها هذه اللفظة[6].

---

(١) انظر: ديوان أبي ذؤيب (ص١٥٧).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٦١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٨)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ٢/ ٧٠٥، رقم: ١٠١٧، من حديث جرير ﷺ.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٠٠ـ٣٠١)، الصحاح (٥/ ٢١٣٨ـ٢١٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٠).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٢/ ٤٠٩).

ـ ما يدل على الملامسة.

ومنه إطلاقها على الوجه أو دائرته أو صورته.

قال الأعشى[١]:

كريما شمائله من بني   معاوية الأكرمين السنن[٢]

والمعنى الأكرمين الوجوه، وأراد بالسنن الوجوه[٣].

ـ التتابع وتواليه.

ولهذا يقال: كل من ابتدأ أمر وعمل به قوم بعده ، قيل: هو الذي سنه.

قال نصيب[٤]:

كأني سننت الحب أول عاشق   من الناس أو أحببت بينهم وحدي[٥]

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، أبو المصبح الكوفي، شاعر مفوه شهير، كان متعبدا فاضلا، ثم عبث بالشعر وامتدح النعمان بن بشير، فاعتنى به، قتله الحجاج سنة نيف وثمانين .

انظر: جمهرة ابن حزم (ص٣٩٣)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٤٢)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٥).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(٣) انظر: القاموس المحيط (٤/ ٢٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٤).

(٤) هو نصيب بن رباح ، أبو محجن الأسود، الشاعر مولى عمر بن عبد العزيز ، وشعره في الذروة، تنسك وأقبل على شأنه ، وترك التغزل، مات في بداية القرن الثاني.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٦)، تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٩٨ـ٣٠١)، القاموس المحيط (٤/ ٢٣٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

ـ العناية بالشيء ورعايته.

يقال: سن الإبل إذا أحسن رعايتها، وأظهر العناية بها[(١)].

ـ الأمة.

وأنشد فيه بعضهم:

ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم في سالف السنن[(٢)]

ويعني في سالف الأمم.

ـ المثال المتبع، والإمام المؤتم به.

ومنه قول لبيد بن ربيعة[(٣)]:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها[(٤)]

إلى غير ذلك من المعاني الواردة فيها، بحيث يختلف بحسب السياق الذي سيقت له[(٥)].

إلى جانب هذا فقد ضبط للكلمة عدة صيغ أخرى أذكرها للفائدة وحتى لا يكون اشتباه بينها، ومن هذا:

١ـ السنة ـ بكسر السين، وتشديد النون ـ ، وهي الدبة أو الفهدة.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢١٦).

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري ، أحد الشعراء الفرسان، الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، وله ديوان مشهور، مات سنة ٤١ هـ.
انظر: خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٣٣٧)، الأعلام للزركلي (٥/ ٢٤٠).

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٤/ ٦٥).

(٥) انظر للتوسع: حجية السنة ، الموسوعة الإسلامية (١٢/ ٢٨٠).

٢ـ السنة ـ بفتح السين وتخفيف النون ـ هي العام، وتطلق على سني الجدب.

٣ـ السنة ـ بكسر السين وتخفيف النون ـ وهي النعاس وما دون النوم.

قال عدي بن الرقاع العاملي[1]:

وسنان أقصد النعاس فرنقت   في عينه سنة وليس بنائم[2]

(١) هو عدي بن الرقاع العاملي ، الشاعر ، مدح الوليد بن عبد الملك، وهاجى جرير بن الخطفي، وكان آية في الشعر، مات في مطلع القرن الثاني.

انظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٥٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٠)، خزانة الأدب (٤/ ٤٧٠).

(٢) انظر: غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ، دمشق، ١٩٩٥ م، (ص٧٩).

المبحث الثاني تعريف السنة اصطلاحا.

إن المتأمل والمتتبع لاستعمالات لفظة " السنة " يرى أنها استعملت لأكثر من معنى واصطلاح اتفق عليه أهل العلم، حيث إن كل فريق منهم يعطيها مدلولا خاصا بها.

ولهذا أذكر ما ورد من هذه اللفظة في الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة والتابعون الأولون في استعمالها، ثم أعرض لاستعمال كل فريق من أهل العلم.

المطلب الأول: ورود لفظ السنة في نصوص الكتاب والسنة.

لقد جاء استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم والسنة النبوية على معاني متعددة، يحسن بي ذكرها على سبيل الإيجاز.

أولا: ورود لفظ السنة في القرآن الكريم.

في القرآن الكريم آيات كثيرة وردت فيها لفظة "السنة"، وهي ثلاثة عشر موضعا :

١ـ ﴿وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾[١].

٢ـ ﴿ وقد خلت سنة الأولين﴾[٢].

٣ـ ﴿سنة من أرسلنا من رسلنا﴾[٣].

٤ـ ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾[٤].

٥ـ ﴿ إلا أن تأتيهم سنة الأولين ﴾[٥].

٦ـ ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾[٦].

٧ـ ﴿ ولن تجد لسنتنا تبديلا﴾[٧].

٨ـ ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾[٨].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٢) سورة الحجر، الآية ١٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧٧.

(٥) سورة الكهف، الآية ٥٥.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

(٧) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

(٨) سورة فاطر، الآية ٤٣.

٩ـ ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا﴾[١].

١٠ـ ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾[٢].

١١ـ ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾[٣].

١٢ـ ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾[٤].

١٣ـ ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[٥].

ووردت لفظة السنن بالجمع في آية واحدة وهي:

١٤ـ ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾[٦].

(١) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٢) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٣) سورة غافر، الآية ٨٥.

(٤) سورة الفتح، الآية ٢٣.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٣.

(٦) سورة النساء، الآية ٢٦.

ثانيا: ورود لفظ السنة في السنة النبوية.

إذا استعرضت كتب الحديث التسعة - والتي هي العمدة عند المشتغلين بالحديث - فإنه يتبين ما سبق تقريره من أن السنة قد استعملت لعدة معان متقاربة، وأعني بالكتب التسعة:

- الكتب الستة؛ وهي صحيح البخاري[1]، وصحيح مسلم[2]، وجامع الترمذي[3]، وسنن أبي داود[4]، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجه[5].

---

(١) هو إمام الأئمة وشيخ الحفاظ ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، أبو عبد الله، ولد ببخارى سنة ١٩٤ هـ، ألف كتابه العظيم الصحيح ولبث فيه قرابة ست عشرة سنة، مات سنة ٢٥٦ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤)، سير أعلام النبلاء .

(٢) هو مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري ، أبو الحسين، الإمام الكبير ، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، وجرد الصحيح على منوال صحيح البخاري، وتميز رحمه الله بجمع الطرق وحسن الترتيب ، مات ٢٦١ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء .

(٣) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الإمام الحافظ المشهور، صاحب الجامع، ولد سنة ٢٠٩هـ، ومات بترمذ سنة ٢٩٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠-٢٧٧)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٣٨٧-٣٨٩).

(٤) هو سليمان بن الأشعث الأزدي ، أبو داود السجستاني، الإمام الفقيه، صاحب التصانيف والسنن، ولد سنة ٢٠٢ هـ، ومات بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، سير أعلام النبلاء .

(٥) هو محمد بن يزيد بن ماجه، أبو عبد الله القزويني، الإمام الحافظ، صاحب السنن والتصانيف، ولد سنة ٢٠٩ هـ، ومات سنة ٢٧٣هـ.

ـ موطأ الإمام مالك[1].

ـ سنن الدارمي[2].

ـ مسند الإمام أحمد.

ففي هذه المصادر جاءت لفظة السنة ـ مفردة ومجموعة ـ نحو مائة وسبع مرات تقريبا، ويزداد هذا العدد إذا أدخلنا فيها المصادر الأخرى[3].

وباستعراض مقتضب لعدد ورودها في السنة يظهر للباحث معاني عدة يمكن إجمالها في معان عدة، وهي كالتالي:

ـ اتباع سنن من قبلنا من اليهود والنصارى.

ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.

انظر: سير أعلام النبلاء .

(١) هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، الأصبحي، أبو عبد الله المدني، الفقيه، رأس المتقنين وكبير المتثبتين، ألف الموطأ، واشتهر صيته في الأمصار، مات سنة ١٧٩ هـ.

انظر: الانتقاء لابن عبد البر (ص ٩)، ترتيب المدارك (١/ ١٠٢)، تقريب التهذيب (٩١٣).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، أبو محمد التيمي، المحدث الكبير، صاحب التصانيف كالمسند والتفسير وغيرهما، توفي سنة ٢٥٥ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٣٥).

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن، ١٩٣٥م، (٢/ ٥٥٥)، مفتاح كنوز السنة، تعريب: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة، ١٩٣٥ م، (ص٢٤٦).

ـ أجر من سن سنة حسنة.

ـ وجوب اتباع السنة وإن لم ينزل فيه قرآن.

ـ ملازمة المسلم للكتاب والسنة.

ـ التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة.

ـ إثم من يحيد عن السنة.

ـ ما حرم الرسول ﷺ مثل ما حرم الله.

ـ كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن.

ـ السنة قاضية ـ أي حاكمة ـ على القرآن[(١)].

هذا من حيث الإجمال، وأما من حيث التفصيل فإنك تجد أن لفظ السنة استعمل في كثير من الأحاديث للدلالة على معنيين:

الأول: ما كان شاملا للشريعة كلها.

الثاني: ما كان على سبيل المقابلة للقرآن.

١ـ ورود السنة بمعنى الشريعة.

لقد استعملت هذه اللفظة بمعنى التشريع العام في الإسلام وما تضمنه من مسائل الدين الواردة في القرآن والسنة أو المستنبطة منهما مما يحتج به، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا، أود أن أشير إلى بعضها هاهنا:

(١) انظر: مفتاح كنوز السنة (ص٢٤٦).

أ ـ منها قوله ﷺ : (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

ب ـ وقوله ﷺ : (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ، ثم نرجع فننحر من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل، فإنما هو لحم قدمه لأهله...) الحديث[2].

ج ـ وقوله ﷺ : (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٩/ ١٠٤)، رقم: ٥٠٦٣، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب سنة الأضحية، (٧/ ١٢٨)، رقم: ٥٥٤٥.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة، (٤/ ٢٠١)، رقم: ٤٦٠٧، والترمذي في جامعه، باب الأخذ بالسنة، (٤/ ١٤٩ـ١٥٠)، رقم: ٢٨١٦، وابن ماجه في سننه ، المقدمة، (١/ ١٥)، رقم: ٤٢، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٦)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة، (١/ ٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ح٢٦ـ ٢٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٨١٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١/ ٨٢ـ٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ١٨١ـ١٨٢)، وغيرهم من طرق عن العرباض بن سارية .

والحديث قال عنه الترمذي : حسن صحيح.

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب.

وقد أشار ابن حزم[1] إلى هذا بقوله: "السنة هي الشريعة نفسها، وأقسامها في الشريعة فرض أو ندب أو إباحة أو تحريم أو كراهة، كل ذلك قد سنه رسول الله ﷺ عن الله عز وجل"[2].

وقال أبو نعيم: هو حديث جيد من صحيح الشاميين . (انظر: جامع العلوم والحكم ص١٨٧).

وصححه أيضا من العلماء:

- ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٥٨).
- ابن رجب الحنبلي. جامع العلوم و الحكم (ص١٧٨).
- ابن كثير، كما في تحفة الطالب (٤٦).
- الزركشي ، كما في المعتبر (٣٠).
- الحافظ ابن حجر كما موافقة الخبر الخبر (١/ ١٣٧).
- ومن المعاصرين الشيخ الألباني.

انظر: إرواء الغليل (٨/ ١٠٧)، صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٤١)، تعليقاته على مشكاة المصابيح (١/ ٥٨)، ظلال الجنة في تخريج السنة (ح٢٦).

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، الفقيه المشهور، من اشهر مصنفاته الفصل في الملل والنحل، المحلى وغيرها ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ومات بالأندلس سنة ٤٥٦هـ.

انظر: الصلة (٢/ ٤١٥-٤١٧)، بغية الملتمس (ص٤١٥-٤١٨)، نفح الطيب (٢/ ٧٧-٨٤).

(٢) إحكام الأحكام (١/ ٤٣).

وقال الشيخ محمد الخضر بن الحسين[1]: "وتطلق ـ أي السنة ـ على ما يقابل البدعة فيراد بها ما وافق القرآن أو حديث النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، سواء كانت دلالة القرآن أو الحديث على طلب الفعل مباشرة أو بوسيلة القواعد المأخوذة منهما"[2].

وقد أومأ إلى هذا الاستعمال الشيخ أبو زهو[3].

٢ـ ورود لفظ السنة في مقابلة القرآن.

في كثير من الأحاديث جاءت كلمة السنة في مقابلة القرآن أو معطوفة على كلمة الكتاب، والمقابلة والعطف يقتضي التغاير، فعلى هذا فإن لفظ السنة يشمل ما ذكره النبي ﷺ من غير الوحي.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن النبي ﷺ في هذا المعنى، فمن ذلك:

قول النبي ﷺ : (إن الأمانة نزلت من السماء في جذور قلوب الرجال، ونزل القرآن ، فقرأوا القرآن وعلموا السنة..) الحديث[4].

وبهذين المعنيين عرفت السنة في عهد النبوة.

---

(١) هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم أديب ، باحث، ممن تولى مشيخة الأزهر، مات سنة ١٣٧٧هـ.

انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١١٣).

(٢) رسائل الإصلاح (٣/ ٨٣ـ٨٤).

(٣) انظر: الحديث والمحدثون (ص٩ـ١٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب إذا بقي في الناس حثالة من الناس، (٩/ ٦٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة ، (١/ ١٢٦)، رقم: ١٤٣.

المطلب الثاني: ورود لفظ السنة في كلام الصحابة.

لم تزل السنة في عصر الصحابة بعد النبي ﷺ تشتمل على ما أشرت إليه من المعنيين السابقين، وأكتفي في هذا المبحث بمثال أو مثالين لكل واحد من المعنيين.

أولا: شمول لفظ السنة للشريعة .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم)[١].

ثانيا: ورد لفظ السنة مقابلة للقرآن.

ومن الآثار الواردة عن الصحابة في هذا الباب: قول أبي بكر[٢] رضي الله عنه للجدة التي جاءت تسأل عن ميراثها:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، رقم: ٦٥٤.

(٢) اسمه: عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، صحب الرسول ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه بالهجرة والغار وشهد المشاهد كلها وثبت معه يوم أحد وحنين وأعطاه الراية يوم تبوك، ولي الخلافة بعد وفاة ﷺ، ومناقبه كثيرة جدا لعل أعظمها قول الله تعالى :﴿ إلاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار﴾، وثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له وهو في الغار : (ما ظنك باثنين الله ثالثهما). كانت وفاته رضي الله عنه في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ فارجعي حتى أسأل الناس) الحديث[1].

وعن ابن عمر[2] رضي الله عنهما أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان[3] يبايعه:

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٦٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٥٠)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ٤/ ٢٦٠.

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب ميراث الجدة، (٢/ ٥١٣)، وأبو داود في سننه، كتاب الفرائض ، باب في الجدة، (٣/ ١٢١)، رقم: ٢٨٩٤، والترمذي في جامعه، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الجدة، (٣/ ٢٨٤)، رقم: ٢٧٢٤، وابن ماجه في سننه ، في كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، (٢/ ٩١٠)، رقم: ٢٧٢٤.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، يكنى أبا عبد الرحمن، أمه زينب بنت مظعون، أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغا حينئذ، هاجر مع أبيه إلى المدينة، كان ﷺ شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى حتى إنه ترك المنازعات في الخلافة، وكان يكثر بعد وفاة النبي ﷺ، وكان كثير الصدقة. مات ﷺ بمكة سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث، وهو ابن أبرع وثمانين سنة.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٥٠)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٥٦٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣/ ٣٤٠)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ١٠٧).

(٣) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي يكنى أبا الوليد كان قبل الخلافة عابدا ناسكا بالمدينة، شهد مقتل عثمان وهو ابن عشر سنين، قال نافع: لقد رأيت المدينة، وما بها شاب أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك، ملك الشام ومصر بعد أبيه ثم حارب ابن الزبير وأخاه مصعبا، وقتلهما، واستولى على الحجاز والعراق. سمع عثمان وأبا هريرة وأم سلمة وغيرهم، وعنه عروة، والزهري، ويزنس بن ميسرة، وغيرهم. توفي بدمشق سنة ست وثمانين.

(وأقر لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله بما استطعت)[1].

وبهذا المفهوم للسنة من خلال هذه النصوص يتضح المعاني المشهورة التي كانت تستعمل في عهد النبي ﷺ ومضى عليه صحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٢٣)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٤٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (١٣/ ٢٤٥)، رقم: ٧٢٧٢.

المطلب الثالث: اصطلاحات السنة عند أهل العلم.

أهل العلم اختلفت أقوالهم في معرفة مدلول كلمة السنة لاختلافهم في المقاصد التي منها يتكلمون في موضوع السنة.

فتجد بعضهم مثلاً: يجتهد في معرفة ما صح عن النبي ﷺ مما نقل عنه مما لم يصح ذلك عنده، من ولادته ﷺ إلى وفاته، ويتمثل هذا في المحدثين.

وبعضهم كان هدفه أن النبيﷺ هو المشرع فيستنبط من أقواله وأفعاله الأحكام الشرعية، وهذا يمثل جانب الأصوليين.

وآخرون اقتصرت نظرتهم في مدلول الكلمة من جهة كونها سنة أو مندوب أو مشروع، وهكذا، وهؤلاء طائفة الفقهاء.

ورابع هؤلاء جعلت غايتها في نظرتها عرض ما يصدر من أعمال الناس التي يتعبدون بها لله تعالى، وأنها موافقة للسنة وسالمة من الشبهات والشهوات، أو أنها بدعة مخالفة للسنة، وهذا رأي من صنف في الاعتقاد من أئمة السنة(١).

وقد ذكر الزركشي(٢) رحمه الله ـ في هذا الباب ـ أن السنة تطلق على الواجب وغيره في عرف اللغويين والمحدثين، وأما في عرف

---

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي (ص٦١)، السنة قبل التدوين لمحمد حجاج الخطيب (ص١٥).

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبد الله ، الزركشي ، الشافعي، صاحب التصانيف البديعة، كالبحر المحيط، وغيره، توفي سنة ٧٩٤هـ.

الفقهاء فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب، وأطلقها بعض الأصوليين على الواجب والمندوب والمباح، وتطلق في مقابلة البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة[1].

ففي هذا بيان نظرة كل فئة من هؤلاء الأعلام، واختلاف التعاريف الخاصة لمدلول كلمة السنة، ويمكن توضيح هذا فيما يأتي من المباحث.

أولا: تعريف السنة في اصطلاح أهل الحديث.

السنة: هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كانت قبل البعثة أم بعدها[2].

ويقارب هذا ما قاله الحافظ ابن حجر[3]: "المراد بالسنة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله"[4].

انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ١٧)، أنباء الغمر لأبناء العمر لابن حجر أيضا (١/ ٤٤٦)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٦/ ٣٣٥).

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ١٦٣)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٣).

(٢) انظر: تدريب الراوي (١/ ١٦٦)، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة كلاهما للسيوطي (ص٤٦)، قواعد التحديث للقاسمي (ص٣٥-٣٨)، توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري (ص٢)، السنة قبل التدوين للخطيب (ص١٦)، الحديث والمحدثون لأبي زهو (ص١٠)، لمحات في أصول الحديث (ص٢٧).

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري ، شهاب الدين الشافعي، المعروف بابن حجر، صاحب التصانيف المشهورة كفتح الباري ، والإصابة في معرفة الصحابة وغيرهما، مات سنة ٨٥٢ هـ.

انظر: الجواهر والدرر للسخاوي .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٤٥).

وهذا التعريف لوحظ فيه المعنى المتقدم المشار إليه وهو كون السنة مقابلة للقرآن، فكان جل اهتمام المحدثين التأسي بالنبي ﷺ في كل أفعاله وأقواله وتقريراته، وخلقه وشمائله، ومعرفة الصحيح منها من السقيم لتتم القدوة بسيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ .

وفي هذا الباب ذكر أهل العلم أمثلة عدة على قوله ﷺ وفعله وتقريره وخلقه وسيرته، فمن ذلك على سبيل الإيجاز:

١ـ ما جاء من أحاديث في أقوال النبي ﷺ .

أما القول فهو الأحاديث التي قالها النبي ﷺ في مختلف شؤون الحياة وحسب المناسبات التي تترتب من وراءها أحكاما متعددة، ومن أشهر ذلك ما أجاب عنه ﷺ عن أسئلة الصحابة في مختلف علوم الشرع مما احتاجت الأمة إلى بيانه.

ومن ذلك:

أ ـ قول النبي ﷺ : (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)[١].

ب ـ وقول النبي ﷺ : (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا[٢] العشر، وما سقي بالنضح[٣] نصف العشر)[٤].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٢)، وأبو داود في السنن (١/ ٢١)، والترمذي في الجامع (١/ ١٠١)، والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٥٠)، وابن ماجه في السنن (١/ ١٣٦)، والدارمي في السنن (١/ ٢٠١)، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٩)، وابن الجارود في المنتقى (١/ ٢٣)، والدارقطني في السنن (١/ ٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣) وغيرهم.

(٢) العثري : ما سقته السماء.

انظر: القاموس المحيط (ص٥٦٠).

(٣) نضح البيت ينضحه، رشه، ونضح النخل: سقاها بالسانية.

انظر: القاموس المحيط (ص ٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، ٤/ ٩٠.

ج ـ وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما، قال: (وجد النبي ﷺ شاة ميتة أعطيتها مولاة لميمونة[2] من الصدقة، قال النبي ﷺ : هلا انتفعتم بجلدها؟ قالوا: إنها ميتة، قال: إنما حرم أكلها)[3].

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكنى أبا العباس، ابن عم النبيﷺ ، ولد وكان بنو هاشم قد حصرتهم قريش بالشعب، فأتى به النبيﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: خمس. وفي الصحيح عنه : (أن النبي ﷺ ضمه إليه، وقال: اللهم علمه الحكمة)، وكان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى: حبر الأمة، وحج بالناس سنة قتل عثمان ﷺ ، وشهد مع علي الجمل وصفين والنهروان، ولاه علي البصرة، ثم عاد إلى الحجاز بعد ذلك ، مات بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٣٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣/ ٢٩٠)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٩٠).

(٢) ميمونة: هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، كان اسمها برة، فسماها النبي ﷺ ميمونة، خطبها النبي ﷺ وجعلت أمرها إلى العباس، فأنكحها ﷺ وقت فراغه من عمرة القضاء سنة سبع من ذي العقدة، وبنى بها بسرف، وقال ابن عباس: هذه زوجة النبي ﷺ فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا، فإنه كان عند النبي ﷺ تسع كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة". أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب كثرة النساء، (٩/ ١٤١)، رقم: ٥٠٦٧.

روت عن النبي ﷺ وروى عنها ابن عباس، وعبد الله بن شداد، ويزيد بن الأصم، وعطاء بن يسار، وغيرهم.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٣٢)، الاستيعاب (٤/ ٣٩١)، السير (٢/ ٢٣٨)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي ﷺ، (٣/ ٣٥٥)، رقم: ١٤٩٢، ومسلم في كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، (١/ ٢٧٦)، رقم: ٣٦٣.

٢ـ ما جاء من أحاديث في أفعال النبي ﷺ.

وهي أفعاله ﷺ التي نقلها إلينا الصحابة ﷺ، مثل أدائه للصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، كرفع يديه عند افتتاح الصلاة، وصفة الركوع، والسجود، مع تنبيهه ﷺ إلى متابعته في ذلك حيث قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[١].

وكذلك أداؤه لمناسك الحج، وما شوهد في المشاعر من قبل صحابته رضوان الله عليهم، مع حثه ﷺ لهم بقوله ﷺ في ذلك: (لتأخذوا عني مناسككم)[٢].

٣ـ ما جاء من أحاديث في تقرير النبي ﷺ.

أما التقرير فكل ما أقره الرسول ﷺ مما صدر عنه عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار، والموافقة عليه صادرا عن رسول الله ﷺ .

أ ـ ومن هذا حديث أبي سعيد الخدري[٣] ﷺ : (أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيدا طيبا، فصليا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، ٢/ ١١١، رقم: ٦٣١، والشافعي كما في مسنده (١/ ١٢٩)، من حديث مالك بن الحويرث.

(٢) أخرجه مسلم رقم: ١٩٤٦، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠١، ٣١٨، ٣٦٧)، وغيرهما ، من حديث جابر بن عبد الله .

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري نسبة إلى خدرة، بطن من الأنصار، اشتهر بكنيته، استصغره الرسول ﷺ يوم أحد، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، وأجازه في غزوة بني المصطلق، وكان عمره خمس عشرة سنة، كان ﷺ من حفاظ المكثرين، قال حنظلة بن

ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: أصبت السنة، وقال للآخر: لك الأجر مرتين)[1].

ب ـ ومن ذلك قول أنس رضي الله عنه[2]: (كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم

أبي سفيان عن أشياخه: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد، روى عن الرسول ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم، وروى عنه من التابعين سعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعطاء ومجاهد، وغيرهم، توفي سنة ثلاث وستين، قيل: غير ذلك.

انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٦٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/ ٨٩)، صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٧١٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٦/ ١٤٢)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ٣٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب، باب في المتيمم يجد الماء، (١/ ٩٣)، رقم: ٣٣٨، والنسائي في المجتبى، كتاب ، باب التيمم لمن يجد الماء بعد الصلاة، (١/ ٢١٣)، رقم: ٤٣٣، والدارمي في سننه (١/ ٢٠٧)، والدارقطني (١/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٣١).

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ، أبو حمزة، الأنصاري ، الخزرجي، الصحابي الجليل خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين رواية للحديث، ولد بالمدينة ، ومات بالبصرة سنة ٩٣ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٩)، أسد الغابة (١/ ١٥١)، الإصابة لابن حجر (١/ ١٢٦).

كذلك يصلون ركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء)[1][2].

٤ ـ ما جاء في خلق النبي ﷺ وخلقه وسيرته.

ومن ذلك الأحاديث التي جاءت في صفة خلقه ﷺ، وهي كثيرة جدا، جمعها الإمام الترمذي في كتابه العظيم الشمائل، وكذلك ذكر طرفا منها ابن دحية[3] في شرف أعضاء النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة، (٢/ ١٠٦)، رقم: ٦٢٥، ومسلم في كتاب الأذان، رقم: ٨٣٧.

(٢) وقد ذكر أهل العلم تفاصيل كثيرة تتعلق بأقسام الأقوال والأفعال والتقرير.

انظر للاستزادة: الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٨ـ٤١)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٠)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٥٣).

(٣) هو عمر بن حسن بن علي بن الجميل الكلبي، أبو الخطابي ، الداني، السبتي ، المشهور بابن دحية، الشيخ العلامة المحدث المتفنن، وكان له حظ وافر من اللغة، مات سنة ٦٣٣ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٩)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٢٠).

ومن ذلك قول جابر بن سمرة: (كان رسول الله ﷺ ضليع الفم[1]، أشكل العين[2]، منهوس العقب[3])[4].

وقد جاء في بيان خلقه ﷺ أحاديث كثيرة، فمنها قول عائشة[5] رضي الله عنها لما سئلت: (عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: الست

(١) ضليع الفم: عظيمه، أو واسعه، أو عظيم الأسنان متراصفها.

انظر: القاموس المحيط (ص٩٥٩).

(٢) أشكل العين: أي طويل شق العين.

انظر: القاموس المحيط (ص١٣١٧).

(٣) المنهوس: القليل اللحم من الرجل، ومنهوس القدمين: معرقهما.

انظر: القاموس المحيط (ص٧٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، رقم: ٢٣٣٩، والترمذي في جامعه، كتاب المناقب، رقم: ٣٦٤٩.

(٥) هي عائشة بنت الصديق، الصديقة، البريئة المبرأة أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، أمها: أم رومان بنت عامر الكنانية، ولدت عائشة بعد المبعث بأربع سنين، أو خمس، تزوجها النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع، وكان دخوله بها في شوال بعد موت خديجة بثلاث سنين، وقبض ﷺ وهي ابنة ثمان عشرة سنة، قال عروة: فما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى فضلا، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة.

توفيت رضي الله عنها: سنة ثمان وخمسين على الأرجح، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٨١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٧/ ١٨٨)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨/ ١٣٩).

تقرأ القرآن ؟ قال : بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) الحديث[1].

ومما يتعلق بالسيرة فإن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، حيث قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ ..) الحديث[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل، (١/ ٥١٣)، رقم: ٧٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب، (١/ ٢٣)، رقم: ٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، (١/ ٥١٣)، رقم: ٧٤٦.

ثانيا: تعريف السنة في اصطلاح أهل الأصول.

عرفها جمهور الأصوليين بأنها: ما صدر من الرسول ﷺ من الأقوال والأفعال والتقرير[1].

زاد الزركشي : "والهم"، ثم قال: "وهذا الأخير لم يذكره الأصوليون، ولكن استعمله الشافعي في الاستدلال"[2].

ولا شك أن علماء الأصول إنما خصوا هذا في مدلول السنة لملاحظة موضوع علم الأصول ذاته، الذي يهتم بالأدلة وطرق الاستنباط منها، فلما كانت السنة من الأدلة المتفق على الاستدلال بها، ظهر في تعريفهم لها الاقتصار على جانب الاستدلال، فيقولون: هذا الحكم ثابت بالسنة أي بدليل من السنة لا غيره من الأدلة كالقرآن والإجماع والقياس الصحيح ونحوها.

(١) انظر: أصول السرخسي (١/ ١١٣)، الإحكام لابن حزم (١/ ٨٧)، المستصفى للغزالي (١/ ١٢٩)، الإحكام للآمدي (١/ ١٦٩)، التمهيد لأبي الخطاب الكلوداني (١/ ٦٥)، شرح المعالم لابن التلمساني (ص٢٠ـ٢١)، الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٨)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٠)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣)، كشف الأسرار للبخاري (٢/ ٦٥٣)، شرح المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٩٤)، نهاية السول شرح منهاج الوصول للأسنوي (٢/ ٢٣٨)، إرشاد الفحول للشوكاني (ص٣٣)، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي (١/ ٤٤٩)، الحديث والمحدثون (ص٩).

(٢) البحر المحيط (٤/ ١٦٤).

ثالثا: تعريف السنة في اصطلاح الفقهاء.

المعتمد عندهم أنهم يبحثون في سنة رسول الله الـذي تـدل عليـه أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثـون عـن حكـم الشـرع في أفعـال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك.

والسنة عندهم هي: كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكـن مـن بـاب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين مـن غـير افـتراض ولا وجوب(١).

هذا من حيث الجملة وإلا فقد تجد عند بعض أهل العلـم بعـض المعاني التي لا يذكرها غيرهم، وذلـك لاختـلاف مدارسـهم الفقهيـة، ولهذا من المناسب الإشارة إلى بعض أقوال فقهاء المذاهب الأربعة لكي يتضح مدلول السنة عند الفقهاء.

١ـ السنة في اصطلاح فقهاء الحنفية.

السنة عند الحنفية: هي ما واظب على فعله الرسول ﷺ مـع تركـه مرات بلا عذر، فإذا اقترن الترك بإنكار الرسول ﷺ على مـن لم يفعلـه فهو الواجب، وإن لم يقترن بالإنكار كانت دليل السنة المؤكدة(٢).

---

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ١٥٦)، الإحكام للآمـدي (١/ ١٢٧)، البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٤)، فتح البـاري لابـن حجـر(١٣/ ٢٤٥ـ٢٤٦)، إرشـاد الفحول (ص٣٣)، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٣/ ٧٠٣).

(٢) انظر: التحرير في أصـول الفقـه لابـن همـام الاسـكندري (٣/ ١٩)، حجيـة السـنة (ص٥٤).

٢ـ السنة في اصطلاح فقهاء المالكية.

اختلفت عبارات المالكية في تعريف السنة؛ فقال بعضهم: ما فعله الرسول ﷺ وأظهره في جماعة وواظب عليه، ولم يرد دليل على وجوبه.

وقيل: ما فعله وداوم عليه ـ كصلاة الخوف ـ واقترن به ما يؤكد أنه ليس فرضا، سواء أظهره في جماعة أم لا[1].

٣ـ السنة في اصطلاح فقهاء الشافعية.

السنة عند الشافعية مرادفة للمندوب والمستحب والتطوع والنافلة والمرغب فيه والحسن.

ولهذا جاء تعريفها عندهم: "السنة ما يحمد فاعلها، ولا يذم تاركها".

وقيل: السنة هي المندوب الذي واظب عليه النبي ﷺ[2].

٤ـ السنة في اصطلاح فقهاء الحنابلة.

كما أن تعريفات الحنابلة للفظ السنة قد تنوعت أيضا، فقال بعضهم: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

ويرادفها المندوب والمستحب والتطوع والطاعة والنفل.

وقيل: نوع من المندوب، وهي أعلاه[3].

---

(١) انظر: عقد الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة لابن شاس (ص١٥٥)، حجية السنة (ص٦٣).

(٢) انظر: منهاج الوصول للبيضاوي (ص١٥١)، حجية السنة (ص٥٣).

(٣) انظر: شرح غاية السول لابن المبرد (ص٢٠٢)، حجية السنة (ص٦٧).

وقد تطلق السنة على ما هو أعم من هذا وهو المنقول عن النبي ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا، أو عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم[1].

رابعا: تعريف السنة في المفهوم العقدي.

هي ما وافق الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، وتقابلها بهذا المعنى البدعة[2].

وهذا الاصطلاح إنما استمد من مفهوم السنة الذي هو الاتباع المقابل للابتداع، وقد جاءت في ذلك آثار كثيرة:

١ـ فمن ذلك قول ابن مسعود[3] ﷺ : (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)[4].

---

(١) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٣ـ٦٤).

(٢) انظر: البحر المحيط للزركشي (٤/ ١٦٣)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٤).

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم، أبو عبد الرحمن الهذلي، الصحابي الجليل، أسلم بمكة قديما ، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهوصاحب نعل النبي ﷺ ، ومناقبه وفضائله كثيرة جدا ، روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب، وغيرهم.

مات سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن بضع وستين.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٤٢،) ، التاريخ الكبير (٥/ ت٣)، تاريخ بغداد (١/ ١٤٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨٧)، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢٧ـ٢٨)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ت٤٩٥٤).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (رقم:٢٢٣)، والمروزي في السنة (ص ٣٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٥٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦١ـ٦٢)، رقم: ١٣ـ١٤، وغيرهم.

٢ـ وقال الحسن[١]: (لا يصح القول إلا بعمل ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة)[٢].

٣ـ وقال عمر بن عبد العزيز[٣]: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده[٤] سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ، ومن استبصر بها

(١) هو الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار، البصري، الأنصاري مولاهم، من الثقات الفقهاء المشهورين بالزهد والورع والتقوى والعلم، مات سنة ١١٠ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ، تقريب التهذيب (رقم: ١٢٣٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٣)، رقم: ١٨، وقد روى أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣)، عن الأوزاعي بنحوه.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشي الأموي المدني الخليفة الزاهد الراشد ، كنيته أبو حفص، كان من أئمة الاجتهاد، ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة ، كان رحمه الله ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع، عده الشافعي رحمه الله من الخلفاء الراشدين، قال عنه الذهبي: كان حسن الخلق والخلق ، كامل العقل حسن السمت جيد السياسة ،حريصا على العدل.
تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، ومات سنة إحدى ومائة، ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر.
انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٣٣٠)، التاريخ الكبير(٦/ ١٤٧)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ١١٤).

(٤) لعله يعني الخلفاء الراشدين.

أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[1].

٤ـ وقال الأوزاعي[2]: "كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة واتباع السنة، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله"[3].

٥ـ ومن هذا أيضا قول أبي بكر بن عياش[4] لما سئل: من السني؟ قال: "الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها"[5].

٦ـ وقال سفيان بن عيينة[6]: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة..." .

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١/ ٤٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٦)، رقم: ١٣٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، الثقة، علامة الشام، وكان كثير الحديث والعلم والفقه، مات سنة ١٥٧ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، تقريب التهذيب (رقم: ٣٩٩٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٧١)، رقم: ٤٨، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٢).

(٤) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي، المقرئ الحناط، من الثقات العباد المشهورين بالعلم ، مات سنة ١٩٤ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧١)، تقريب التهذيب (رقم ٨٠٤٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٣)، رقم: ٥٤.

(٦) هو الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه، مات سنة ١٩٨ هـ.

فذكر عشرة أمور[1].

٧ـ وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات ....) إلى آخره[2].

ويقول ابن رجب[3] : "السنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة ؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة"[4].

انظر: سير أعلام النبلاء، تقريب التهذيب (رقم: ٢٤٦٤).

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٦)، وبنحو هذا عن ابن المديني . المصدر السابق (١/ ١١٨٥).

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي أبو الفرج زين الدين، من كبار المحدثين والحفاظ في عصره، ولد سنة ٧٣٦ هـ، وله من المصنفات القواعد الفقهية وجامع العلوم والحكم، وغيرها، مات سنة ٧٩٥ هـ.

انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٨)، إنباء الغمر (٣/ ١٧٦)، الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي (ص١٧٦)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩).

(٤) كشف الكربة (ص ١١).

وقد وافقه على هذا الإمام محمود الآلوسي[1] حيث قال: "السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت، ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات خلافا للجهمية[2] المعطلة النفاة، وخصت بإثبات القدر ونفي الجبر خلافا للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العصاة[3].

وتطلق أيضا على ما كان عليه السلف الصالح من مسائل الإمامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ"[4].

وهكذا تجد أهل العلم يطلقون الاسم على بعض مسمياته، تنبيها بذلك على أهمية هذا الركن وعظم شأنه.

من خلال الآثار السابقة عن السلف يظهر للباحث أن السنة كانت تتناول جميع حياة المسلم من الاعتقاد والعبادة، يقول شيخ

---

(١) هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي ، أبو المعالي ، علامة العراق ، ومؤرخها، ومن الدعاة المصلحين، له من المصنفات: غاية الأماني في الرد على النبهاني، والأجوبة العراقية، وغيرها، توفي سنة ١٣٤٢ هـ.

انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٤٩)، أعيان القرن الثالث عشر (ص٤٧)، المستدرك على معجم المؤلفين (ص٧٧٥).

(٢) هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندي، أبي محرز الراسبي ، ضال مبتدع، جنى على الأمة الإسلامية شرا عظيما، قتل سنة ١٢٨ هـ.

انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩).

(٣) سيأتي التعريف بهذه الفرق ، انظر: ص ١٣٤ من هذه الرسالة.

(٤) غاية الأماني (١/ ٤٢٨).

الإسلام ابن تيمية: "لفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات والاعتقادات"[1].

ثم صار في عرف كثير من أهل العلم يطلق على ما سلم من الشبهات في الاعتقاد ، كما سبق عن ابن رجب والآلوسي[2].

هذه أهم الاصطلاحات التي ذكرها أهل العلم في لفظة السنة، وهي تختلف في المراد منها تبعا لاختلاف الموضوع الذي يبحث فيه، وحيث إن موضوعي يتعلق بالجانب المنهجي، فإني سأتحدث عن خصائص أهل السنة والجماعة ـ التي شملت الاعتقاد والعمل والسلوك ـ من خلال المنظور العقدي لمدلول كلمة السنة.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. صلاح المنجد، (ص٧٧).

(٢) انظر: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى (ص٤٤).

الفصل الثالث: تعريف الجماعة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة.

المبحث الثاني: تعريف الجماعة اصطلاحا.

المبحث الأول: تعريف الجماعة لغة.

لفظ الجماعة: أصله من جمع.

يقال: جمعت الشيء المتفرق فاجتمع.

وتجمع القوم أي اجتمعوا من هنا وهاهنا ، وأجمعت الشيء جعلته جميعا.

وقد وردت عدة صيغ لها علاقة وطيدة بلفظ الجماعة فمن ذلك:

١ـ الاجتماع: وهو ضد التفرد وضد الفرقة، يقال: تجمع القوم إذا اجتمعوا من هنا وهنا.

٢ـ المجموع: الذي جمع من هنا وهنا.

٣ـ الجمع: وهو اسم لجماعة الناس ، والجمع: مصدر قولك: جمعت الشيء.

٤ـ الإجماع: وهو الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه.

إلى غير ذلك من الصيغ المستعملة.

فعلى هذا يراد بالجماعة: العدد الكثير من الناس[1]، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد.

وسميت جماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وأين صار لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين[2].

---

(١) وقيل: تطلق على الناس وغيرهم. انظر: لسان العرب (٨/ ٥٣).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١١٩٨ـ١٢٠٠)، مجمل اللغة (١/ ١٩٨)، مختار الصحاح (ص١١٠)، لسان العرب (٨/ ٥٣)، المعجم الوسيط (١/ ١٣٥).

المبحث الثاني: تعريف الجماعة اصطلاحا.

إن مفهوم الجماعة كما ورد في السنة وفي كلام أهل العلـــم يـدور على معان عدة أوجزها فيما يلي:

١ـ الصحابة.

٢ـ أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين.

٣ـ الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

٤ـ السواد الأعظم.

٥ـ أهل الحل والعقد والعلماء والأمراء والقضاة والأعيان.

وسيأتي الكلام على كل معنى فيها مع شيء من التفصيل :

المطلب الأول: الجماعة بمعنى جيل الصحابة.

يرى بعض أهل العلم أن المراد بالجماعة الصحابة ﷺ في عصرهم، فإنهم أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم لا يجتمعون على ضلالة أصلا.

وهذا القول نسبه الشاطبي لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى[1].

وهو قول البربهاري وغيره[2].

ولعل هؤلاء استندوا إلى الأحاديث الواردة في الباب مما يحث على التمسك بمنهج الصحابة كما في الحديث : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[3].

---

(١) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: شرح السنة (ص٢٢).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب شرح السنة، (٥/ ٤)، رقم: ٤٥٦٩، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٥/ ٢٥)، رقم: ٢٦٤٠، ٢٦٤١، وابن ماجه، في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (٢/ ١٣٢١)، رقم: ٣٩٩١، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢، ٣/ ١٢٠)، والدارمي في سننه في كتاب السير باب افتراق الأمم (٢/ ١٨٥)، رقم: ٢٥٢١، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٤٠)، رقم: ٣٦٦٨، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٤٠)، رقم: ٩١٠، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٢٧) رقم: ٨٠٥١، وفي المعجم الصغير (١/ ٢٢٤)، والحاكم (١/ ١٢٨،

وفي رواية : (هي الجماعة)[1].

فالصحابة هم الجماعة في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين فإن نصوص الجماعة الواردة في السنة إنما تنصرف أولا إليهم، لسبقهم في الزمن والفضل.

٢/ ٤٨٠)، وابن نصر المروزي في السنة (ص١٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٠ـ١٠٢)، وغيرهم، عن جمع من الصحابة.

والحديث صححه جمع من العلماء منهم:

الحاكم، وابن تيمية، وابن القيم، والعراقي، والشاطبي، والسيوطي، والسخاوي، وعلي القاري، والشوكاني، والألباني، وغيرهم.

انظر: المستدرك (١/ ١٢٨، ٢/ ٤٨٠)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٩٥، ٢٢/ ٣٦٠، ٣/ ٢٤٥ـ٢٤٩)، روضة المحبين لابن القيم (ص١٣٠)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للعراقي(١/ ١٣)، الاعتصام للشاطبي(٢/ ١٨٩)، المقاصد الحسنة للسخاوي(ص١٥٨)، الجامع الصغير ـ مع فيض القدير ـ للسيوطي(٢/ ٢٠)، المرقاة لعلي القاري(١٠/ ٣٣)، فتح القدير للشوكاني(١/ ٣٧١)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٢٠٣، ٢٠٤، ٣/ ٤٨٠).

(١) سيأتي الكلام عليها.

المطلب الثاني: الجماعة بمعنى أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين.

المقصود بالجماعة هنا الأئمة العلماء المجتهدين، من الأعلام المتبعين للكتاب والسنة والمقتفين لأثر النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ومن اتبعهم على ذلك ممن جاء بعدهم.

وهذا القول نسبه الشاطبي لابن المبارك[١] وإسحاق بن راهويه[٢] وجماعة من السلف غيرهم[٣].

وحكاه ابن بطة عن عمرو بن قيس[٤].

وهذا قول الإمام البخاري حيث قال: "باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم"[٥].

---

(١) هو الإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي الإمام الحافظ، شيخ الإسلام عالم زمانه ، جامع الفقه والحديث واللغة، وكان شجاعا سخيا ، توفي سنة ١٨٠ هـ.

انظر: طبقات خليفة (ص٣٢٣)، تاريخ بغداد للخطيب (١٠/ ١٥٢)، حلية الأولياء (٨/ ١٦٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٣٧)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب المروزي، أحد الأئمة الأعلام، نزيل نيسابور، وعالمها مات سنة ٢٣٨ هـ.

انظر:تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٨٣).

(٣) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦١).

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٨٢).

(٥) صحيح البخاري ـ مع فتح الباري ـ (١٣/ ٣٢٨).

وهو ما رجحه الترمذي، حيث قال: "وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث"[1].

ولهذا فإنه لما سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن الجماعة قال: أبو بكر وعمر[2]، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر. قال: ففلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة.

قال أبو عيسى: وأبو حمزة[3] هو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا، وإنما قال هذا في حياته عندنا"[4].

---

(١) جامع الترمذي (٤/ ٤٦٧)، وانظر: عون المعبود (١٢/ ٣٤٢).

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص العدوي القرشي ﷺ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، كان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة با الجاهلية، أسلم ﷺ سنة خمس وقيل ست، قصة إسلامه مشهورة، هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، شهد بدرا والمشاهد كلها. نزل القرآن بموافقته في مواضع كثيرة منها: أسرى بدر، الحجاب وغير ذلك، ولي الخلافة بعد أبي بكر سنة ثلاث عشرة، وفتح الله له فتوحا كثيرة، دون الدواوين،وأرخ التاريخ الهجري، استشهد ﷺ يوم الأربعاء في صلاة الفجر لأربع بقينة من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، وقتله أبو لؤلؤة المجوسي .

انظر : التاريخ الكبير (٦/ ١٣٨)، والاستيعاب في معرفة الاصحاب (٣/ ١١٤٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ١٤٥)، والاصابة في تميز الصحابة (٤/ ٢٧٩).

(٣) هو محمد بن ميمون المروزي ، أبو حمزة السكري ، عالم مرو الحافظ الإمام الحجة، وكان رحمه الله مستجاب الدعوة، توفي رحمه الله سنة ١٦٧ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣٠)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٥)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٨٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٧)، وانظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٦).

المطلب الثالث: الجماعة بمعنى الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

تطلق الجماعة على الاجتماع على الحق وعدم الفرقة، وهي بهذا المفهوم تعني الاعتصام بالحق والجماعة التي تكون على الحق، ونبذ الفرقة .

وقد أشار إلى هذا القول البربهاري[1] .

إلا أن الشاطبي أشار إلى أن هذا القول يرجع إلى بعض الأقوال السابقة حيث قال: "وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني ـ أي المطلب الثاني هنا ـ وهو يقتضي أيضا ما يقتضيه ، أو يرجع إلى القول الأول ـ وهم السواد الأعظم من المسلمين ـ وهو الأظهر "[2] .

ومن هذا الباب قول ابن مسعود رضي الله عنه : (الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)[3] .

ولهذا قال أبو شامة[4] مؤكدا هذا المعنى: "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا ،

---

(١) انظر: شرح السنة (ص٢٢).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٩)، وانظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص٢٢)، إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٧٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين أبو محمد، الشافعي، المعروف بأبي شامة المقدسي، من الفقهاء الأعلام ، صاحب التصانيف العديدة المجودة، كإبراز المعاني والروضتين في أخبار الدولتين، وغيرهما، مات سنة ٦٦٥هـ.

انظر: الذيل على الروضتين لأبي شامة (٣٩)، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٦٦٥ هـ)، (ص ١٩٤).

والمخالف له كثيرا ، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظرة إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"[١].

المطلب الرابع: الجماعة بمعنى السواد الأعظم.

المقصود بالجماعة على هذا القول السواد الأعظم من أهل الإسلام[٢].

وقد عزا الشاطبي[٣] هذا لابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري، وغيرهما[٤].

ثم قال: "فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم ؛ لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان ...."[٥].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤١٩)، الفقيه والمتفقه للخطيب (١/ ١٦١)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣١٦، ١٣/ ٣٥، ١٢/ ٢٠١).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ، أبو إسحاق الشاطبي، العلامة المحقق، اشتهر بكتابه الاعتصام والموافقات وغيرهما ، مات سنة ٧٩٠ هـ.

انظر: أعلام الفكر الإسلامي لابن عاشور (ص ٧٧).

(٤) انظر: الاعتصام (٢/ ٢٦١).

(٥) الاعتصام (٢/ ٢٦١).

المطلب الخامس: الجماعة بمعنى أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والقضاة والأعيان أو بعضهم.

وهذا ما اختاره الطبري[1] رحمه الله ، وأن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم[2].

وهذا قول ابن العربي[3] أيضا[4].

وإلى هذا يشير ابن بطال[5]: "والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر"[6].

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام العالم الفقيه المحدث المؤرخ المفسر، صاحب التصانيف المشهورة، توفي ببغداد عام ٣١٠ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٨)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧)، الاعتصام (٢/ ٢٦٤).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي، أبو محمد، الأندلسي، الإشبيلي، إمام المالكية في عصره بالأندلس، مات سنة ٥٤٣هـ.

انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ٢٤٢).

(٤) انظر: عارضة الأحوذي (٩/ ١٠)، وانظر: معالم السنن (٤/ ٣١١).

(٥) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن، من أهل العلم بالحديث بقرطبة، له شرح على صحيح البخاري، مات سنة ٤٤٩هـ.

انظر: شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥).

(٦) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣١٦).

وهو اختيار المباركفوري أيضا. انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٣٨٤).

ولهذا قال الشاطبي ما حاصله محاولا التوفيق بين هذا المعنى والمعاني السابقة: "وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم"[1].

المطلب السادس: معنى الجماعة.

من خلال ما سبق من هذه المعاني فإنها لا اختلاف بينها ولله الحمد، أن الجماعة هي وصف لأهل السنة بجميع الاعتبارات، ولهذا قال الشاطبي: "فهذه خمسة اقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأنهم المرادون بالأحاديث"[2].

فالجماعة وإن فسرت بالصحابة، فإن ذلك لأنهم كانوا على الحق وهم أهله، وكانوا السواد الأعظم في وقتهم، ثم من تبعهم على ذلك من أهل العلم والاجتهاد المجتمعين على الحق ـ وذلك من كان على وصفهم من اتباع الحق وأهله ـ ، وأن عوام المسلمين تبع لهم، لرجوعهم إليهم في أمور دينهم.

فهؤلاء كلهم هم الجماعة فإن كان لهم إمام مسلم وجب عليهم طاعته في غير معصية الله ، والاجتماع حوله، كما يفهم ذلك من قول الطبري وغيره.

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦٥).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٦٥).

ويمكن أن يختصر هذا فيقال: الجماعة هم الصحابة والتابعون لهم ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كان لهم إمام مسلم فواجب عليهم طاعته ، والاجتماع حوله، وإلا فليكن المسلم مع الحق أينما كان وأينما وجد[(١)(٢)].

---

(١) كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان ﵁ والذي فيه: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥، رقم: ٧٠٨٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧)، الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٢ـ٢٦٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن المحمود (١/ ١٨)، وجوب لزوم الجماعة لجمال بادي (ص٩٦ فما بعدها)، معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي (ص١٦٧)، وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم (ص٨٧ـ٨٩).

الفصل الرابع: تعريف أهل السنة والجماعة ومفهومها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل : الأصل في التسمي بأهل السنة والجماعة

المبحث الثاني: تعريف أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث : مفهوم أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: الأصل في التسمي بأهل السنة والجماعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: الأمر بلزوم الجماعة والحث عليها.

إن الأصل الذي منه استمد السلف التسمية بأهل السنة والجماعة هو ما ورد في النصوص الشرعية من الأمر باتباع الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما ولزوم الجماعة، وهي كثيرة جدا وسيأتي عرض بعضها.

المطلب الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة.

وذلك أن الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي الذي يوزن به الأقوال والأعمال، فقد جاءت الأدلة الكثيرة على الأمر باتباعهما والعمل بهما والاعتصام بهما.

أولا: من القرآن الكريم.

جاءت آيات كثيرة توجب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وترغب في ذلك، فمن ذلك:

قول الله جل وعلا: ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٢.

ثانيا: من السنة النبوية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي)[1].

وعن جابر بن عبد الله[2] رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش ، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: أما بعد فإن خير الحديث

(١) أخرجه مالك في الموطأ، في كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، (رقم: ١٦١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤)، وغيرهم.

(٢) جابر بن عبد الله: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، ولم يشهد بدرا وأحدا؛ لأن أباه خلفه على أخواته، قال عن نفسه: لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي، فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ غزوة قط، شهد صفين مع علي ﷺ، كان من المكثرين الحفاظ للسنن، وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، عمي في آخر عمره، ومات بالمدينة سنة أربع وسبعين، وقيل: أقل، وقيل: أكثر، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر، وعلي، وروى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وعطاء، والشعبي، وغيرهم.

انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٢٠٧)، الاستيعاب (١/ ٢٢٢)، صفة الصفوة (١/ ٦٤٨)، أسد الغابة (١/ ٣٠٧)، تهذيب الكمال (٤/ ٤٤٣)، الإصابة(١/ ٢١٤).

كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[1].

وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[2].

وسيأتي مزيد تفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٣/ ١١، رقم: ٨٦٧، وغيره.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٧.

المطلب الثاني: الأمر بلزوم الجماعة والحث عليها.

إن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة ليجد الاهتمام الواضح تجاه الجماعة، والأمر بلزومها وفضل ذلك، وما ذلك إلا لأهمية الجماعة ، ونبذ الافتراق.

وذلك في نصوص كثيرة:

منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[(٢)].

وقال عز وجل: : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾[(٣)].

وقال ﷺ : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيات ١٠٥ـ١٠٧.

(٤) سبق تخريجه ص ٧٥.

وفي رواية : (هي الجماعة)[1].

إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة وسيأتي ذلك مفصلا في بابه[2].

---

(١) جاءت هذه الرواية عن عدد من الصحابة منهم: أنس بن مالك، ومعاوية ، وعوف بن مالك.

أما حديث أنس : فرواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٠، ١٤٥)، وابن ماجة في السنن كتاب الفتن، (٣٩٩٣)، وغيرهما.

وأما حديث معاوية: فأخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة، (رقم: ٤٥٩٧)، والدارمي في سننه (٢/ ١٨٥) رقم: ٢٥٢١، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ١،٢،٦٥)، وغيرهم.

وأما حديث عوف بن مالك: فأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (رقم: ٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٢) رقم: ٦٣، وغيرهما.

وقد قوى هذه الرواية الحاكم ووافقه الذهبي، وابن تيمية، والعراقي وابن حجر والألباني وغيرهم.

انظر: المستدرك (١/ ١٢٨)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١١٨)، تخريج الكشاف (ص٦٣)، المغني عن حمل الأسفار ـ مع الإحياء ـ (٣/ ٢٥٥)، السلسلة الصحيحة (رقم:٢٠٤، ١٤٩٢).

(٢) انظر: الباب الرابع، الفصل الثامن.

المبحث الثاني: تعريف أهل السنة والجماعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف الإضافي لأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: التعريف اللقبي لأهل السنة والجماعة.

إن معرفة حدود المصطلحات له أهمية كبرى للوصول إلى المدلول الحقيقي لأي مصطلح شرعي، ولهذا تجد أهل العلم يتفننون في ضبط حدود المصطلحات، فتراهم يتطرقون إلى ذلك من جهة التعريف اللقبي والتعريف الإضافي، ولعلي أسلك هذا المسلك في حد أهل السنة والجماعة، اقتفاء بأعلامنا السالفين الذين لهم قصب السبق في هذا الباب.

المطلب الأول: التعريف الإضافي لأهل السنة والجماعة.

أهل الشيء هم أخص الناس به، يقال: أهل الرجل : أخص الناس به وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به، وأهل المذهب من يدين به[1].

فمعنى أهل السنة: هم أخص الناس بها وأكثرهم تمسكا بها واتباعا لها.

ومما يتضح للباحث من خلال الفصلين الماضيين أن معنى السنة كما تقدم ذكره من خلال الآثار السابقة عن السلف كانت تتناول جميع أمور الشرع من الاعتقاد والعبادة، ثم صار عند كثير من أهل العلم يطلق على ما سلم من الشبهات في الاعتقاد ، كما سبق عن ابن رجب والآلوسي، فهي إذا شاملة لأبواب الاعتقاد والعمل والسلوك.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٠)، لسان العرب (١١/ ٢٩).

وأما الجماعة فهم الصحابة والتابعون لهم ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كان لهم إمام مسلم فواجب عليهم طاعته ، والاجتماع حوله، وإلا فليكن المسلم مع الحق أينما كان وأينما وجد، كما تقدم.

فعلى هذا يكون تعريف أهل السنة والجماعة: هم المتمسكون بالمنهج النبوي من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، القائمين بالحق على منهج الكتاب والسنة في جميع أمور الدين من الاعتقاد والسلوك والعمل والقول وغيرها[1].

(١) انظر: الدين الخالص (٣/ ٤٤)، مفهوم أهل السنة والجماعة د. العقل (ص٧٨)، شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان (ص١٠)، فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص١٠).

المطلب الثاني: التعريف اللقبي لأهل السنة والجماعة.

ليس هناك اختلاف كبير بين ما تقدم تقريره وبين ما عرفه به أهل العلم هنا، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في تعريف أهل السنة والجماعة ـ: "هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[1].

ويقول أيضا مركزا ـ رحمه الله ـ على جانب الاتباع : "فإنه ـ أي مذهب أهل السنة والجماعة ـ مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة"[2].

وقال ابن حزم: "وأهل السنة .. أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة ومن سلك نهجهم من خيار التابعين ، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها "[3].

وسيأتي مزيد تفصيل في المبحث الآتي إلا أنه يجدر بي أن أنبه هنا أنه قد ورد استعمال لفظ أهل السنة منفردا ، ولفظ الجماعة[4] منفردا إلا أنه قليل ، اكتفاء بأحدهما للتعبير عن الآخر كما قال الإمام مالك

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٧٥).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٤٨٢).

(٣) الفصل (٢/ ١٠٧).

(٤) سيأتي الكلام على هذا اللقب ص١٢٥.

لما سئل عن السنة : "هي ما لا اسم لــه غـير السـنة وتـلا: ﴿وأن هـذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفـرق بكـم عـن سـبيله﴾ الآية[1][2].

بل الأشهر الجمع بين المصطلحين، وذلـك لوجـود التناسـب بـين مدلولي الكلمتين الجماعة والسنة، بل ما من جماعة التي هي على الحـق إلا وتجدها على السنة، وكذلك من كان مهتديا بالسنة فإنه على الحــق وهو من الجماعة، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى نحو هذا قائلا: "فإن السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: أهـل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة"[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ٥٨)، مسألة التقريب د. ناصر القفاري (١/ ٣٤).

(٣) الاستقامة (١/ ٤٢).

المبحث الثالث : مفهوم أهل السنة والجماعة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: سبب التسمية بأهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: معنى مصطلح أهل السنة والجماعة.

المطلب الرابع: الانتساب عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الخامس: نبذة عن عناية أهل السنة والجماعة بالاعتقاد.

قد عرفنا أن مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الأعلام وغيرهم المتمسكون بالسنة في الاعتقاد والعمل والسلوك، فهم لا ينتسبون إلا إلى السنة ، مجتمعين في الأخذ بها، والحث على العمل والتمسك بها، وفي هذا المبحث سيأتي الكلام على حقيقة مصطلح أهل السنة والجماعة بشيء من التفصيل ، ولذلك سأتعرض إلى نبذة عن تاريخ هذه التسمية، وسببها، وعلى من يصح إطلاقها.

المطلب الأول: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.

قد علم من العرض السابق أن مبدأ أهل السنة والجماعة هم الصحابة رضوان الله عليم، فهذا من حيث المعنى.

ويشهد لهذا صنيع الإمام اللالكائي رحمه الله حيث يفتتح كتابه الموسوم بـ"شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" بذكر أئمة الدين الذين ترسموا بالإمامة بعد رسول الله ﷺ فيبدأ بذكر أبي بكر والخلفاء الثلاثة بعده، وبقية أئمة العلم والدين من الصحابة والتابعين إلى زمنه[1].

وأما إطلاق هذا اللقب فإنه لم يطلق إلا بعد ظهور الفتن، وكان قصدهم بذلك تمييز من كان على منهج الحق من غيرهم.

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٣١ فما بعدها).

فليس القصد من هذا المطلب البحث فيه كما تبحث نشأة الفرق الضالة، وذلك لأن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة رضوان الله عليهم الذي تلقوه من النبي ﷺ .

بل الذي أريد الكلام عليه هنا هو عن بداية التسمي بهذا المصطلح لا نشأة المسمى، ولا شك في أصالة التسمية إذ إنها مستمدة من النصوص الشرعية كما تقدم ذلك[١].

وإنما وقع التنبيه عليه هنا لئلا يخلط بين ما يتطرق إليه السلف من الكلام على بداية التسمي بهذا المصطلح، وبين من يدعي كون أهل السنة والجماعة فرقة من الفرق التي حدثت عبر حقب التاريخ الإسلامي وعصوره[٢].

وعودا إلى بدء فإن لقب أهل السنة والجماعة إنما ظهر في أواخر أيام الصحابة[٣] ، فقد قال ابن سيرين[٤]: "لم يكونوا يسألون عن

(١) انظر: ص ٤٩.

(٢) انظر: المؤامرة على الإسلام لأنور جندي (ص٢٦٦)، مسألة التقريب (١/ ٤٣).

(٣) ورد عن ابن عباس أثر في تفسير قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾، قال: (فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم...)، أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ٧٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٣)، إلى غيره، وفي سنده مجاشع بن عمرو منكر مجهول، وقال البخاري في شيخه ميسرة بن عبد ربه : رمي بالكذب . انظر ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٣)، فالأثر على هذا لا يصح.

(٤) هو محمد بن سيرين ، أبو بكر، الإمام المشهور ، من كبار التابعين، أدرك نحو ثلاثين صحابيا، ولد في أواخر خلافة عمر ﷺ وتوفي سنة ١١٠ هـ.

الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[1].

ثم تتابع السلف في استعمال هذا اللقب ، ومن ذلك:

قول أيوب السختياني[2]: "إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي"[3].

وقال سفيان الثوري[4]: "ما أقل أهل السنة والجماعة"[5].

وقال الطحاوي في مقدمة عقيدته المشهورة: "هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة..."[6].

ومما سبق يتبين أن لقب أهل السنة والجماعة له أصل شرعي من حيث التسمية، وكذلك من حيث الاستعمال، وأنه قديم، وهذا يدفع ما يظنه بعضهم من أن ذلك إنما عرف في أيام أئمة المذاهب الأربعة،

انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٨٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦٠٦).

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٥).

(٢) هو أيوب بن أبي تميمة ، أبو بكر السختياني، الإمام العلم المشهور ، مات سنة ١٣١ هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٠) ، تقريب التهذيب (رقم : ٦١٠).

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٠ـ٦١).

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة فقيه عابد، إمام حجة، مات سنة ١٦١ هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٣)، تقريب التهذيب (رقم: ٢٤٥٨).

(٥) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤).

(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة ـ بتعليق الشيخ ابن مانع ـ (ص٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق أبا حنيفة ومالك والشافعي[1] وأحمد ـ رضي الله عنهم ـ فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة...، وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة .. فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولا، بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها"[2].

(١) هو محمد بن إدريس القرشي ثم المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المجمع على ثقتهم وإمامتهم وعدالتهم ، مات سنة ٢٠٤ هـ.
انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)، الانتقاء لابن عبد البر (ص٦٦)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٤٤).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٤٨٢).

المطلب الثاني: سبب التسمية بأهل السنة والجماعة.

أما عن سبب التسمية بهذا اللقب فإنه قد بينه شيخ الإسلام ابن تيمية، وأوضح أن ذلك راجع لاتباعهم آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا، واتباع سبيل الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ـ قال" :وسموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين ؛ والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في الدين والعلم.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة ـ أي الكتاب والسنة والإجماع ـ جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين"[1] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧).

المطلب الثالث: معنى مصطلح أهل السنة والجماعة.

إن لقب أهل السنة والجماعة قد تناقله الناس ، عبر العصور، وكان في العصور المفضلة ومن مشى على ذلك يستخدم في ما يقابل البدعة وأهلها.

إلا أنه صار يطلق إطلاقان بعد ذلك:

١ـ إطلاق عام.

٢ـ وإطلاق خاص.

أولا: الإطلاق العام للقب أهل السنة والجماعة.

وهذا المعنى يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة، فيقال: هذا رافضي وهذا سني، وذلك لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي ، فإذا قال أحدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضيا[١].

ثانيا: الإطلاق الخاص للقب أهل السنة والجماعة.

هذا المعنى أخص من السابق والمراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج بذلك سائر أهل الأهواء والبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة ، فيدخل في ذلك ـ أي في أهل السنة ـ جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: القرآن غير مخلوق، وأن الله

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٥٦).

يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة"[١].

ويزيد هذا توضيحا الإمام السجزي[٢] حيث يقول: "أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن رسول الله ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة ، وقد امرنا باقتفاء آثارهم، واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان"[٣].

(١) منهاج السنة (٢/ ١٦٣)، وانظر: (٢/ ٢٢١).

(٢) هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي ، السجزي، الإمام الكبير، صاحب سنة، من مصنفاته: الإبانة الكبرى في مسألة القرآن، توفي سنة ٤٤٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، الجواهر المضية في تراجم الحنفية (٢/ ٤٩٥)، شذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص٩٩).

المطلب الرابع: الانتساب عند أهل السنة والجماعة.

هذه المسألة من المسائل المهمة التي تتعلق بهذا الباب، وذلك أن هذه الألقاب والنسبة إليه، ما ظهرت إلا بعد طهور الفرق والبدع، وسأتعرض في الكلام عليها إلى أمرين:

١ـ انتساب أهل السنة والجماعة.

٢ـ الانتساب إلى أهل السنة والجماعة.

أولا: انتساب أهل السنة والجماعة.

كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على منهاج واحد في الدين، غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا، فما كان ثمة إلا كافر أو مسلم أو منافق.

وبوفاة النبي ﷺ وقع الخلاف فيمن ينصب إماما للمسلمين ، إلا أن الصحابة اتفقوا على تنصيب أبي بكر خليفة بعد رسول الله ﷺ.

ثم تسلم الخلافة عمر رضي الله عنه وفي زمنه ظهرت فتوحات الإسلام واتسعت رقعة الإسلام، وما زال الأمر كذلك حتى انكسر الباب وبزغت الفتن بمقتل أمير المؤمنين عمر، على يد مجوسي فاجر لا رحم الله فيه مغرز إبرة.

ثم لطف الله بالمسلمين فتمت بيعة أمير المؤمنين عثمان[1] رضي الله عنه، فسار بالناس على سيرة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لكن

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه، يلقب بذي النورين، لأن النبي ﷺ زوجه ابنتيه رقية، فلما ماتت زوجه أم كلثوم، أول المهاجرين

عبث المجوسي اليهودي كـدر صفـو الحيـاة، وتفتحـت أبـواب الهـرج، ونشطت الدعوات الهدامة، وكان على رأس الفتنـة عبـد الله بـن سـبأ الخبيث الطاغية، الذي تلبس باسم الدين، وأشعل نار الهمـج، بـالنفخ في الآذان وتكثير سوادهم، حتى وقع المصيبة بمقتل عثمـان رضـي الله عنه، وتولى الخلافة بعده علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه .

وهكذا استمرت الأمة في صراع بعده دار فيه الحـروب في صفـين والجمل، حتى قتل علي رضي الله عنه مظلومـا في رأس عـام ٤٠ هــ، ثـم تمـت

إلى الحبشة ولم يشهد بدرا، وكان رجلا حييا، تولى الخلافة بعد عمر سنة أربـع وعشـرين، وقتل سنة خمس وثلاثين، روى عن النبي ﷺ وابي بكر وعمر، وروى عنـه مـن الصحابـة ابن مسعود وابن عمر، وابن عباس وأبو هريرة، ومن التابعين الأحنف بن قيس وسـعيد بن المسيب، وأولاده عمرو وأبان وسعيد.

انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ١٥٥)، التاريخ الكبير (٦/ ٢٠٨)، حلية الأولياء لأبي نعيـم (١/ ٥٥)، الاستيعاب (٣/ ٦٩).

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام ابن عم النبي ﷺ، ولـد قبـل البعثة بعشر سنين، يكنى أبا الحسن، رابع الخلفـاء الراشـدين وأحـد العشـرة المبشـرين بالجنـة، وأحد الستة الذين وضع عمر فيهم الشورى، وهـو أول مـن أسـلم مـن الصبيـان وكـان عمره ثلاث عشرة سنة، ورد في فضائله وزهده آثار كثـيرة، ومـن ذلـك قـول النبي ﷺ : (لأعطين الرية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسـوله، فلمـا اصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجـو أن يعطاهـا فقـال: أيـن علـي، فقيـل: يشتكي عينيه، فأرسل إليه فبصق ﷺ في عينيه ودعا له فبر، فأعطـاه الرايـة).قتـل رضي الله عنه ليلـة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة قتله عبد الرحمن بن ملجم.

انظر: الاستيعاب لابن عبـد الـبر (٣/ ٢٦) ، صفـة الصفـوة لابـن الجـوزي (١/ ٣٠٨)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ٣٤٤)، الإصابة لابن حجر (٢/ ٥٠١).

البيعة لمعاوية[١] بعد تنازل الحسن بن علي[٢] ﷺ حقنا لدماء المسلمين ومراعاة شمل الأمة[٣].

(١) هو معاوية بن أبي سفيان، يكنى أبا عبد الرحمن، ولد قبل البعثة بخمس سنين، أسلم قبل الفتح، وكتم إسلامه، ولم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح، حدث عن النبي ﷺ وكتب الوحي، قيل لابن عباس: (إن معاوية أوتر بركعة، فقال: إنه فقيه) أخرجه البخاري، ولاه عمر ﷺ الشام، وأقره عثمان ﷺ عليها، مات سنة ستين.

انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ١١٩)، الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر (٣/ ٤٣٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٩).

(٢) الحسن: هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي أبو محمد ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، ولد في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في النصف من رمضان، وهو الأظهر، وعق عنه ﷺ بكبش يوم سابعه، وسماه الحسن، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، قال أسامة بن زيد: كان النبي ﷺ يأخذني والحسن، وورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)، وقد تحقق قوله ﷺ وذلك أنه لما قتل علي بن أبي طالب ﷺ بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا وبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالحجاز واليمن والعراق، وخراسان وغير ذلك، ثم سار إليه معاوية ﷺ، فلما تقاربا أرسل الحسن ﷺ إلى معاوية ﷺ يبذل له تسليم الأمر إليه حقنا لدماء المسلمين. مات ﷺ مسموما سنة تسع وأربعين، وقيل: غير ذلك، وهو ابن سبع وأربعين، ودفن بالمدينة وصلى عليه سعيد بن العاص.

روى عن النبي ﷺ وعن أبيه علي وأخيه الحسين، وروى عنه ابنه الحسن، والشعبي، ومحمد بن سيرين، وغيرهم كثير.

انظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٢/ ٢٨٦)، الاستيعاب، لابن عبد البر، (١/ ٣٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٨)، تهذيب الكمال، للمزي، (٦/ ٢٢٠)، السير، (٣/ ٢٤٥)، الإصابة، لابن حجر، (١/ ٣٢٧).

(٣) انظر لمزيد من التوسع لقضية انشقاق الفرق الضالة عن أهل السنة والجماعة:

قال الشاطبي في وصف هذا الواقع التاريخي: (ثم استمر تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، وأكثر قرن الصحابة ﷺ إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة ، وأصغوا إلى البدع المضلة، كبدعة القدر وبدعة الخوارج ... ثم لم تزل الفرق تتكاثر حسبما وعد به الصادقﷺ في قوله: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[١]، .... فتكالبت على سواد السنة البدع والأهواء ... ولينجزن الله ما وعد نبيه ﷺ من عود وصف الغربة إليه.

ثم قال: لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله غير أنها لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم لا يزالون في جهاد ونزاع ، ومدافعة وقراع، آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم"[٢].

فما زال أهل السنة والجماعة الذين درجوا على منهاج النبوة يدافعون عن الحق ويدعون إليه عبر الأزمنة والعصور، وفي جميع الأمصار، ولم ينفصلوا عنها ولا لحضة زمنية واحدة لا باسم ولا

سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦ـ٢٣٧)، الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٤٧ـ١٥١)، تهذيب السنن (٧/ ٦١ـ٦٢)، الاعتصام (١/ ١٧ـ١٨)، حكم الانتماء للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد (ص ١٧ـ٢٨).

(١) تقدم تخريج هذا الحديث ص ٧٥.

(٢) الاعتصام (١/ ١٧ـ١٨).

برسم، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى النبي ﷺ ومن قفى أثره، وليس لهم رسم ومنهاج سوى منهاج الكتاب والسنة[1]، وليس لهم جماعة من المسلمين بل جماعتهم هي الجماعة وهي الطائفة المنصورة وهي الفرقة الناجية وهم أصل الجماعة، إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج عن الأصل، من تلكم الفرق الضالة التي انشقت عن جماعة المسلمين.

فهم بحق يمثلون الامتداد الطبعي للإسلام في مجموعه وصفائه، وللمسلمين في اجتماعهم وائتلافهم[2].

فلم يكن لأهل السنة والجماعة قبل ظهور البدع لقب منسوب إلا إلى الإسلام وما كان في معناه، قال الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ الآية[3].

قال ابن القيم في تفسير هذه الآية : "فأخبر تعالى أنه اجتباهم فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه، وجعلهم أهله وخاصته، وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهذا أمرهم تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده ، فيبذلوا له أنفسهم، ويفردوه بالمحبة والعبودية، ويختاروه وحده

---

(١) انظر: مدارج السلكين (٣/ ١٧٤).

(٢) انظر: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي لمصطفى حلمي (ص٢٩٢)، حكم الانتماء (٢٨-٢٩).

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

إلها معبودا محبوبا على كل ما سواه، كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلاههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم، وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم، فيؤثرونه في كل حال على من سواه، ... ثم أخبر تعالى أنه نوه بهم وسماهم كذلك بعد أن أوجدهم اعتناء بهم ورأفة لشأنهم وإعلاء لقدرهم"[1].

وكون أهل السنة والجماعة هم الأصل في الاجتماع هو الذي بينه أهل العلم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقتهم ـ أي أهل السنة ـ هي دين الإسلام، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة"[2].

ولهذا ورد عن جمع من السلف أن أهل السنة هم الذين ليس لهم نسب إلا السنة، وأنهم ليسوا برافضة ولا جهمية ولا قدرية ولا غيرهم من الفرق الضالة، ولا يتعصبون للأهواء .

قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن السنة : " هي ما لا اسم له غير السنة وتلا: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ الآية"[3][4].

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٦٧ـ١٦٨)، وانظر: بدائع التفسير (٣/ ٢٢٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٩).

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٤) تقدم قريبا ص ٩٥.

وقال أيضا : "أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي"[1].

وقال أبو بكر بن عياش لما سئل: من السني؟ قال: "الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها"[2].

فالحاصل من هذا أن أهل السنة والجماعة كانت نسبتهم إلى الإسلام وما في معناه في صدر الإسلام ثم لما ظهرت الفتن والبدع ، أظهروا الألقاب الشرعية التي تميزهم عن الفرق الضالة ليتبين الحق من الباطل، ومن الألقاب المستمدة من نصوص الكتاب والسنة: "أهل السنة والجماعة"، كما سبق بيانه، وسيأتي ذكر بقية الألقاب الشرعية والتي تناقلها العلماء جيلا بعد جيل مقرين لها[3].

ثانيا: الانتساب إلى أهل السنة والجماعة.

إن مدلول مصطلح أهل السنة والجماعة يجعل المؤمن ينتسب إليهم لصحة ما يدعون إليه ولأصالته، ولا يمنع من الانتساب إليها أو إلى أحد الألقاب التي أقرها أهل العلم للجماعة المتمسكة بالكتاب والسنة، كون النصوص قد دلت على تسميتها بالمسلمين وما كان في معناها، وذلك أن هذا كان قبل الاختلاف من جهة.

---

(١) انظر: الانتقاء لابن عبد البر (ص٣٥).

(٢) تقدم ص ٦٨.

وانظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧٢).

(٣) انظر: ص ١٢٢.

ثم لما ظهرت الفتن أظهر السلف الصالح تلك الألقاب المنصوص عليها، تمييزا للحق عن الباطل، كما مر في أثر ابن سيرين وغيره[(١)].

المطلب الخامس: نبذة عن عناية أهل السنة والجماعة بالاعتقاد.

إن أهم ما يتميز به منهج أهل السنة والجماعة عن سائر الفرق الباطلة هو سلامة مصدر التلقي عندهم، حيث إنهم لا يعتمدون إلا على الكتاب والسنة والإجماع المنعقد كما سبق ، ولا يصدرون إلا منها، وذلك لانتسابهم وانتمائهم للكتاب والسنة ، ومتبوعهم هو محمد ﷺ، وأما الرجال فهم عندهم أدلاء على الحق، فما وافق من كلامهم الحق أخذوا به وما لا فلا[(٢)].

ولقد ظهرت عناية السلف الصالح بالاعتقاد ، واهتمام بالغ بتصحيحه على وفق ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، فألفوا الكتب الكثيرة في بيانها وإيضاحها من جهة، وفي الرد على المخالفين لهم من جهة أخرى.

وقد واكب التأليف في العقيدة تدوين السنة، ولنذكر في هذه العجالة بعض من ألف في هذا الباب ليكون علما على الباقي.

١ـ الإمام مالك بن أنس ، وقد جعل بابا كبيرا في القدر في كتابه الموطأ.

٢ـ الإمام أحمد بن حنبل، وله كتب عدة في الاعتقاد ، منها:

---

(١) انظر: حكم الانتماء (ص٣١ـ٣٢).

(٢) انظر: الاعتصام (٢/ ٣٥٥ـ٣٦٢).

وسيأتي مزيد تفصيل في الباب الآتي.

السنة، والإيمان، والرد على الزنادقة والجهمية، وفضائل الصحابة.

٣ـ الإمام البخاري، حيث أفرد في صحيحه أبوابا كثيرة في الإيمان والتوحيد والاتباع، وألف خلق أفعال العباد.

٤ـ الإمام مسلم ، فقد خصص أيضا أبوابا كثيرة في الإيمان والقدر وغيرهما.

٥ـ الترمذي ، وذلك بتبويبه على مسائل الاعتقاد في جامعه.

٦ـ أبو داود السجستاني، ومن ذلك تخصيصه لكتاب السنة من سننه، وهذا ما فعله ابن ماجه.

٧ـ ابن قتيبة[1]، وله الاختلاف في اللفظ، وتأويل مختلف الحديث، وغيرها.

٨ـ عثمان بن سعيد الدارمي[2]، ومن مصنفاته الماتعة الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي[3].

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الإمام العلامة، خطيب أهل السنة، من أئمة الأدب واللغة والنحو والشرع، مات سنة ٢٧٦ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

(٢) هو عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد الدارمي، السجستاني، الإمام الحافظ العلم المشهور ، من مصنفاته الرد على الجهمية وغيرها ، مات سنة ٢٨٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١).

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي ، المعتزلي، المبتدع، الضال، مات سنة ٢١٨ هـ.

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٣٢٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٢٧٧).

٩ـ ابن خزيمة[١]، وله كتاب التوحيد.

١٠ـ الطحاوي[٢]، وله العقيدة الطحاوية.

١١ـ الآجري، وله كتاب الشريعة، وتصديق بالنظر إلى الله تعالى.

١٢ـ ابن بطة، وله الإبانة الكبرى والصغرى.

١٣ـ ابن منده[٣]، وله كتاب الإيمان، والتوحيد، والرد على الجهمية.

١٤ـ الإمام أبو القاسم اللالكائي ، وله كتاب شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فلم يخل عصر من الأعصار إلا والسلف ألفوا في الذب عن عقيدة الأمة الصحيحة، ودافعوا عنها إلى عصرنا الحاضر.

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر النيسابوري، الحافظ الحجة، إمام الأئمة، الفقيه الشافعي، توفي سنة ٣١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٠٩).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة ، أبو جعفر الطحاوي، الحنفي، الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف البديعة، مات سنة ٣٢١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٠٨).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الحافظ المحدث، صاحب التصانيف المشهورة كالإيمان، والرد على الجهمية وغيرهما ، توفي سنة ٣٩٥ هـ.

انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/ ١٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨ـ٤٣).

ومن خلال عرض سريع لما حواه اعتقاد الإمام أحمد رحمه الله يدرك القارئ أهمية المسائل التي تطرق إليها أهل السنة والجماعة في مجمل الاعتقاد والتي تمثل أصول العقائد عندهم .

وليس هذا خاصا بالإمام أحمد فحسب بل هذا ما تناقله السلف الصالح في جمل اعتقاد أهل السنة والتمسك بها والوصية بحفظها قرنا بعد قرن[1].

ومما جاء في معتقد الإمام أحمد رحمه الله:

أصول السنة عندنا:

١ـ التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم.

٢ـ وترك البدع، وكل بدعة ضلالة ، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

٣ـ والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ .

٤ـ والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن.

٥ـ وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها:

١ـ الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٠).

ثم ذكر أصول الاعتقاد التي يجب على المؤمن أن يعتقدها[1].

وبنحوه عن الإمام ابن المديني[2] وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، وأبي زرعة[3] وأبي حاتم[4] وغيرهم[5].

وعن البخاري بنحوه، وقال فيه:

"لقيت فيه أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز[6] ومكة[7]

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥ فما بعدها).

(٢) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن ابن المديني البصري، الثقة الإمام الثبت، أعلم أهل عصره بالحديث والعلل ، مات سنة ٢٣٤ هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨)، تقريب التهذيب (رقم: ٤٧٩٤).

(٣) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم ، الرازي ، المشهور بأبي زرعة، الإمام ، حافظ عصره، من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا وإخلاصا وعلما وعملا، مات سنة ٢٦٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٧).

(٤) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي ، أبو حاتم الرازي، أحد الأعلام، من الحفاظ الكبار، مات سنة ٢٧٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧).

(٥) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥ـ٢٠٤).

(٦) الحجاز: جبل ممتد حال بين تهامة ونجد، فكأنه منع كل منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما، وجزيرة العرب تنقسم إلى: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن.
وبلاد الحجاز : الجبل نفسه وسراته، وما احتجز به في شرقيه من الجبال وما حوله.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٨ـ٢١٩)، مراصد الاطلاع (١/ ٣٨٠).

(٧) مكة المكرمة: زادها الله تعالى شرفا وفضلا، قيل: سميت مكة لقلة مائها من قولهم: أمك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه لأنها تمك الذنوب، أي تذهب بها ، ولها ستة عشر اسما: ذكرها النووي ، منها: بكة، سميت بذلك لازدحام الناس بها يبك بعضهم بعضا، أي يدفعه في زحمة الطواف. ومن أسمائها: البلد الأمين، والبلدة، وأم القرى، وأم رحم، بضم الراء وإسكان الحاء، ومن أسمائها: الحاطمة، لحطمها الملحدين، والرأس، قال

والمدينة[١] والكوفة[٢] والبصرة[٣] وواسط[٤]

النووي: واعلم أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى كما في أسماء الله تعالى، وأسماء رسول الله ﷺ . انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٣٩، ١٥٦).

(١) المدينة النبوية : مهاجر رسول الله ﷺ ومنبع دعوة التوحيد ، ومنها قامت الدعوة إلى الحق التي صدعت العالم ، وغيرت مساره التاريخي، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا..)، أخرجه البخاري رقم: ١٨٨٨، ومسلم رقم: ١٣٧٦.

وللمدينة النبوية عدة أسماء واردة، منها: طيبة، والدار، والمسكينة، والجابرة، وغيرها.

انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٩)، فضائل المدينة لصالح الرفاعي (ص ٣٠١).

(٢) الكوفة: من مدن العراق المشهورة، بنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة، وذلك أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحرا، وتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدها، وولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسدي عمرو بن مالك بن جنادة.

قال النووي: سميت الكوفة بذلك لاستدارتها، وقيل: لاجتماع الناس.

انظر: فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٨٧)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٣٧).

(٣) البصرة : مدينة مشهورة أيضا من مدن العراق بنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة أربع عشرة، بناها عتبة بن غزوان، وذلك أنه كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه نزل الخريبة بضم الخاء، وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، فكتب إليه أن اجمع أصحابك في موضع واحد، وليكن قريبا من الماء والمرعى، وكتب إليه أن أنزلها الناس، فأنزلهم إياها فبنوا مساكن بالقصب، وبنى عتبة مسجدا من قصب.

انظر: فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٨٣)، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٢٥).

(٤) واسط: مدينة كبيرة أنشأها الحجاج بن يوسف عام (٨٥ هـ).

وهي واقعة بين البصرة والكوفة، وقد كانت من الحواضر العلمية في القرن الثالث الهجري فما بعد، ولما لها من الأهمية فقد كتب فيها المؤرخون والعلماء مصنفات عدة،

وبغداد[1] والشام[2] ومصر[3]: لقيتهم كرات قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون.

ثم سمى جماعة من الحفاظ والعلماء .

ثم قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء، وسمى أصولا كثيرة[4].

منها تاريخ واسط لأسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل المتوفى سنة ٢٩٢ هـ، وتاريخ واسط للدبيثي (ت٦٣٧ هـ)، وغيرهما.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٣/ ٢٥٧)، البداية والنهاية (٩/ ٥١)، معجم ما استعجم للبكري (ص١٣٦٣) ـ طبعة القاهرة ـ.

(١) بغداد: من أشهر بلاد الإسلام ، بنيت في آخر أيام التابعين على يد أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ)، وقد اشتهرت بالعلم والحديث وغيرهما من العلوم.

انظر: مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، الأمصار ذوات الآثار للذهبي (ص١٧١)، الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص ٦٦٣).

(٢) الشام: يقال إنها سميت بذلك نسبة إلى سام بن نوح لأنه أول من نزلها فجعلت السين شينا، وحدودها قديما من الفرات إلى العريص المتاخم للديار المصرية، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم، وتمثل الآن سوريا والأردن وفلسطين، ولبنان، وغيرها.

انظر: معجم البلدان (٣/ ٣١١ـ٣١٥)، مراصد الاطلاع (٢/ ٧٧٥ـ٧٧٦).

(٣) مصر: من الأمصار المعروفة من قديم، حدها من برقة إلى أيلة، افتتحها عمرو بن العاص في زمن عمر ﷺ وسكنها خلق من الصحابة ، وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد بعد ذلك في عهد تابع التابعين.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٣٧)، الأمصار ذوات الآثار للذهبي (ص١٦٧)، الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص٦٦٢)، حسن المحاضرة .

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣ـ١٩٧).

واتفاقهم في أصول الاعتقاد دليل على صحة مذهبــهم وأنـه هـو الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام ، وهذا ما يقرره الإمام قـوام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة حيث قال: "ومما يـدل علـى أن أهـل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهـم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد مـا بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجـرون علـى طريقـة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جـاء عـن قلـب واحـد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل ابين من هذا"[1].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤_٢٢٥).

الفصل الخامس: ألقاب أهل السنة والجماعة.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : أهل الجماعة.

المبحث الثاني : السلف.

المبحث الثالث: أهل الحديث.

المبحث الرابع: أهل الأثر.

المبحث الخامس: الفرقة الناجية.

المبحث السادس: الطائفة المنصورة.

المبحث السابع: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة.

تمهيد:

أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر يفارقون أهل البدع والفرقة، ويتميزون عنهم، وذلك أنهم ليس لهم اسم يعرفون به ولا لقب أو رمز يميزهم عن غيرهم إلا الإسلام أو ما دل عليه.

بل لا ينتمون لشخص أي انتماء مهما بلغ من الرتبة، يجعلونه قدوتهم في كل شيء إلا رسول الله ﷺ .

فإلى جانب الآثار التي تقدم ذكر بعض منها، فإن الأئمة الأعلام قد حرصوا على هذا، ومن ذلك:

ـ ما جرى لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : (قال لي معاوية رضي الله عنه : أنت على ملة علي رضي الله عنه ؟ قلت: لا ، ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ)[(١)].

ـ وقال مالك بن مغول[(٢)]: "إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت"[(٣)].

والمقصود به التسمي بغير الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، أو ما يشهد لها وأخذ به علماء الأمة.

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١/ ٩٤).

(٢) هو مالك بن مغول الكوفي، أبو عبد الله ، ثقة ثبت، مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح.
انظر: تقريب التهذيب (ص٥١٨).

(٣) انظر: الإبانة الصغرى لابن بطة (ص١٣٧).

إلى غير ذلك من الآثار وما زال علماء السنة أهل العلم والهدى يحذون حذو سلفهم الصالح في اتباع هذا النهج القويم في الانتساب إلى الأسماء الواردة في الشرع سواء بالتنصيص أو بالاعتبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك التفريق بين الأمة بما لم يأمر الله به ولا رسوله: مثل أن يقال للرجل : أنت شكيلي أو قرفندي.

فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرفندي.

والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي، ولا قرفندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم ـ وسموها هم وآباؤهم ـ ما أنزل الله بها من سلطان"(١).

ويقول ابن القيم واصفا أهل الحق ـ وهو يعدد علامات أهل العبودية ـ : "العلامة الثانية : قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم" أي لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق.

وأيضا فلم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٤١٥).

فإن هذا آفة العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب ضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزي ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه قال : الرسول .

وعن طريقه؟ قال: الاتباع" إلى آخر ما قاله رحمه الله تعالى[(١)].

وما اشتهر لأهل السنة من هذه الأسماء لا ينافي ما سبق تقريره من أنهم ليس لهم اسم أو لقب يعرفون به غير الإسلام أو ما يشهد لذلك في الشرع؛ لأن هذه الأسماء دالة على الإسلام.

ولما انتسب إلى الإسلام من لم يحققه قولا ولا عملا من أهل البدع ظهرت هذه الأسماء للتفريق بين الانتساب الشرعي الصحيح، وبين التمحل البدعي الباطل.

وهذا ما سأعرض له في هذا الفصل مما سيأتي من المباحث.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٤-١٧٦).

المبحث الأول: أهل الجماعة.

يعد هذا الاسم من الأسماء المشهورة التي عرف به أهل السنة، إلا أنه يغلب اقترانه بلفظ السنة، فيقال: أهل السنة والجماعة، ويقل استعماله منفردا[1].

ولهذا قال شيخ الإسلام: "وأهل السنة هم أهل الجماعة فإن السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: اهل السنة والجماعة"[2].

وهذا الاسم مأخوذ من قوله ﷺ - في وصف الفرقة الناجية -: (هي الجماعة)[3].

وقد تقدم ذكر النصوص الواردة في الحث على الجماعة وذم الفرقة.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٠)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧)، منهاج السنة (٣/ ٤٦٨، ٥/ ١٥٨)، وسطية أهل السنة (ص٩٢).

(٢) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٣) سبق تخريجه ص ٨٩.

المبحث الثاني: السلف.

المطلب الأول: تعريف السلف في اللغة.

السلف جمع سالف، وهي دالة على السبق والتقدم.

قال ابن فارس: "السين واللام والفاء، أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون"[1].

وقال الفيروز آبادي[2]: "والشيء (سلفا) محركة : مضى ، وفلان سلفا وسلوفا: تقدم.

وكل عمل صالح قدمته ، أو فرط فرط لك، وكل من تقدم من آبائك وقرابتك"[3].

فيتحصل مما ذكره أهل اللغة أن السلف يدور على معنيين:

الأول: كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد صالح.

الثاني: الذي يتقدم الإنسان من آبائه وذوي قرابته الذين هم فوقه في السن[4].

وهذا حاصل ما ذكره من ألف في غريب الحديث؛

ففي مشارق الأنوار[5]: "والسلف: كل عمل صالح تقدم للعبد".

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٥).

(٢) هو محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، أبو طاهر، من أئمة اللغة، ، ومن مؤلفاته القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧ هـ.

انظر: شذرات الذهب (٧/ ١٢٦)، معجم المؤلفين (١٢/ ١١٨).

(٣) القاموس المحيط (ص١٠٦٠).

(٤) انظر: لسان العرب (٩/ ١٥٩).

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (٢/ ٢١٩).

وقال ابن الأثير[١]: "وسلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته.

ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"[٢].

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾[٣][٤].

ومنه أيضا قوله ﷺ : (ولا أراني إلا وقد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك)[٥].

---

(١) هو المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري، أبو السعادات، المحدث الفقيه، من مصنفاته النهاية في غريب الحديث، توفي سنة ٦٠٦ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨)، شذرات الذهب (٥/ ٢٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٠).

(٣) سورة الزخرف، الآية ٥٦.

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٤٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، ٤/ ١٩٠٥، رقم: ٢٤٥٠.

المطلب الثاني: مفهوم السلف في الاصطلاح.

يتضح للباحث مما سبق أن لفظ السلف يدور حول معنى السبق والتقدم سواء بالعمل أو الزمن، وهذا المعنى حاصل في الجانب الاصطلاحي.

إلا أنك إذا نظرت إلى المدلول من الناحية الزمنية فإنك تجد اختلافا بيننا في تحديد مفهوم السلف زمنيا، وهذا ما سأتعرض له فيما يأتي.

أولا: تحديد مفهوم السلف زمنيا.

المقصود بهذا تلك المجموعات المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة ، وهي في القرون المفضلة.

وقد حصل الاختلاف في هذا المجال على سبيل الاختصار:

١ـ إن المراد بالسلف : هم الصحابة فقط، وهو وصف لازم لهم يختص بهم دون غيرهم، وهذا عليه جمع من المالكية[١].

(١) انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي الصعيدي العدوي (١/ ١١٢)، مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص٣ـ٥)، تحرير المقالة في شرح الرسالة للقلشاني (ص٣٦)، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للمغراوي (١/ ١٨)، بصائر ذوي الشرف للهلالي (ص١٨ـ١٩).

٢ـ وقيل: إن المراد بالسلف هم: الصحابة والتابعون.

وهو رأي أبي حامد الغزالي[١] حيث يقول: "واعلم أن الحق الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني: مذهب الصحابة والتابعين"[٢].

٣ـ إن المراد بالسلف: الصحابة والتابعون ، وتابعو التابعين، وهو قول جمهور أهل العلم[٣].

ويشهد لهذا قوله ﷺ: (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته)[٤]، وهذا الذي صرح به أهل العلم كما سيأتي.

وفيه أقوال أخرى تجدها مبثوثة في مصنفات أهل العلم[٥].

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزالي، زين الدين الطوسي ، الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، الفيلسوف، صاحب الفنون المتنوعة والتصانيف الكثيرة، مات سنة ٥٠٥ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢١٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ١٠١).

(٢) إلجام العوام عن علم الكلام (ص٣) ـ ضمن مجموعة الرسائل للغزالي ـ، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (١/ ٣٦).

(٣) انظر: درء التعارض (٧/ ١٣٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٠)، الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للجليند (ص٥٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، (٧/ ٢)، رقم: ٣٦٥٠، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، (٤/ ١٩٦٣) رقم: ٢٥٣٣.

(٥) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة لتوحيد للبيجوري (ص٩١)، في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة لمحمود خفاجي (ص٢٠)، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص٥٢)، وسطية أهل السنة (ص٩٩).

ثانيا: المفهوم الصحيح للسلف.

مما سبق عرضه في تحديد مفهوم السلف زمنيا فإنه يظهر المعنى الأقوى بما استند عليه من النص النبوي الصحيح الذي يبين الأرجح من هذه الأقوال، وهو القول الثالث، وبه تجتمع الأقوال[١].

وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم، ويوافقه صنيع شيخ الإسلام حيث يقول: "سلف الأمة وخيار قرونها"[٢].

وقال الشوكاني[٣]: "وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا نعرف أن مذهب السلف من الصحابة ﷺ والتابعين وتابعيهم وهو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها دون تحريف لها ولا تأويل"[٤].

ويلاحظ أن من أهل العلم من جعل الأمر أوسع من هذا فأدخل فيهم تابعي التابعين، كالإمام أحمد وغيرهم في مفهوم السلف.

ويشهد لهذا قوله ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق شهادتهم أيمانهم) الحديث[٥].

(١) انظر: في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة لمحمود خفاجي (ص٢١).

(٢) انظر: درء التعارض (٧/ ١٣٤).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، العالم ، الإمام، المحدث، الفقيه، الأصولي، من مصنفاته، فتح القدير، ونيل الأوطار، توفي سنة ١٢٥٥ هـ.

انظر: معجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

(٤) التحف في مذاهب السلف (ص٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧٧ـ٢٧٨)، من حديث النعمان بن بشير.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في معرض كلامه على نسبة قول للسلف ـ : "وكذلك قال ابن الماجشون[1]، وأحمد وغيرهما من السلف"[2].

وممن رأيته يعتبر القرن الرابع أيضا من تابع التابعين الإمام ابن رجب رحمه الله حيث جعل السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد قال في بيان ذلك: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي ، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة..."[3].

وعلى هذا فإن السلف يدور على مفهوم هو أوسع مما يظنه بعض الباحثين، بل يدخل فيه القرون المفضلة ممن يقتدى به في الدين، ثم من

ويشهد لذكر القرن الرابع: ما رواه أحمد (٥/ ٣٥٧)، وابن حبان في مقدمة الثقات (٨/ ١)، من حديث بريدة رضي الله عنه.

وصحح هذه الرواية ابن حبان.

وأيضا ما أخرجه: ابن حبان في صحيحه (رقم: ٧٢٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٥٨٤)، من حديث عمران بن حصين.

وممن قوى هذه الرواية ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٦).

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، المعروف بابن الماجشون ، أحد الفقهاء الحفاظ الثقات، أصله من أصبهان، نزل المدينة ثم توجه إلى بغداد وأقام فيها إلى أن مات سنة ١٦٤ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٦)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٣)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٩).

(٢) درء التعارض (١/ ٢٠٧).

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ص٦٠.

كان على طريقتهم من الأعلام، وفي هذا يقول الآجري رحمه الله: "علامة من أراد الله عز وجل به خيرا : سلوك هذا الطريق: كتاب الله عز وجل وسنن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء؛ مثل: الأوزاعي ، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام[1]، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء"[2].

وبنحوه عن ابن كثير رحمه الله حيث قال ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش ﴾[3]ـ : "فللناس في هذا مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك ، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد[4]

---

(١) هو القاسم بن سلام بن عبد الله ، أبو عبيد ، الهروي الأزدي، من العلماء الأعلام الكبار، ولد سنة ١٥٧ هـ، ومات سنة ٢٢٤ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٥٤).

(٢) الشريعة (ص١٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٤) هو الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث الفهمي الإمام عالم الديار المصرية ، وفقيهها، ومحدثها، توفي سنة ١٧٥ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٢٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٢٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩).

والشافعي، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[١]، وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا"[٢].

ويؤيده أيضا ما سطره الذهبي أثناء تراجمه العطرة من خلال كتابه الفذ سير أعلام النبلاء، فإنه إذا أراد أن يبين صحة معتقد المترجم قال عنه إنه على مذهب السلف أو ما يشبه ذلك، ومن ذلك قوله عن الدارقطني الإمام :" لم يدخل الرجل أبدا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك بل كان سلفيا"[٣].

وقال أيضا: "فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم وإما تسكت بحلم"[٤].

ولا يعني هذا أن كل من عاش في القرون المفضلة يكون سلفا يقتدى به، وذلك لما علمَ من وجود كثير من أئمة البدع والأهواء في تلك الحقبة، ولهذا فإن المقصود بالسلف في هذه القرون المفضلة من

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، أحد الأئمة الأعلام، نزيل نيسابور، وعالمها، ولد سنة ١٦١ هـ، ومات سنة ٢٣٨ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٦-٤٢٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧).

(٤) العلو للعلي الغفار (ص١٦).

يقتدى به في الدين ممن هو على الكتاب والسنة، فمن خالف الكتاب والسنة، فلا يكون من جملة هؤلاء، وإن عاش بين ظهرانيهم[1].

والحاصل من هذا أن من أحسن من وفق لتعريف السلف هو السفاريني، حيث قال:

"المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي؛ مثل:

(١) انظر: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل للجليند (ص٥٢).

الخوارج[1] ، والروافض[2]، والقدرية[3]، والمرجئة[4] ،

(١) الخوارج: سموا بهذا الاسم لخروجهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ يوم الحكيم ، فمضوا عنه ونزلوا بأرض يقال لها حروراء، فسموا بذلك حرورية، من عقائدهم تكفير صاحب الكبيرة، وأنه مخلد في النار ـ إلا النجدات منهم ـ وإجماعهم على إكفار عثمان وعلي بن أبي طالب وطالب وطلحة والزبير وعائشة ﷺ وأصحاب الجمل.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٦٧)، التبصير في الدين (١/ ٤٦).

(٢) الرافضة: سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهذا قول الأشعري.

وقال بعضهم: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما خرج عن هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر، فمنعهم من ذلك وتولاهما، فرفضوه ولم يبق معه إلا مئتا فارس، فقال لهم زيد: رفضتموني، قالوا نعم، فبقي عليهم هذا الاسم.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥، ٨٨، ١٣٦)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٥٢)، الملل والنحل (١/ ١٤٦).

(٣) القدرية: فرقة من الفرق الضالة ، سميت بذلك لتكذيبهم القدر، ومقولتهم قائمة على أن العبد خالق لأفعاله كلها، خيرها وشرها، وأول ما ظهر عنهم هو أن الأمر أنف، أي لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه.

وكان أول من تكلم به رجل نصراني يقال له: سنسويه البقال، وسماه بعضهم : سوسن، أسلم ثم عاد فتنصر، فأخذ عنه معبد الجهني ، وعن أخذ غيلان الدمشقي هذه المقالة العرجاء.

انظر: السنة للخلال (ص٥٢٦)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٨)، التبصير في الدين (ص ٦١).

(٤) المرجئة، سموا بذلك نسبة إلى الإرجاء ، وهو تأخير العمل عن الإيمان.

والإرجاء على نوعين: أحدهما بمعنى التأخير ، والثاني: إعطاء الرجاء.

والجبرية[1]، والجهمية[2]، والمعتزلة[3] ، والكرامية[4]، ونحو هؤلاء"[5].

وهم أصناف من أهمها:

المرجئة الخالصة ، وهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، ومن هؤلاء جهم وأصحابه.

مرجئة الفقهاء وهو الذي اشتهر عند أهل الكوفة.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٦).

(١) **الجبرية** : من فرق المرجئة، سميت بذلك نسبة إلى الجبر، زعموا أن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان والكفر والطاعة وخلقها فيهم، فالعبد عندهم مجبور على فعله، لا قدرة له في ذلك، فهو كالريشة في مهب الريح، وهم على أصناف عدة.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٣)، الملل والنحل (١/ ٨٥).

(٢) **الجهمية**: أصحاب جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ)، وسموا بذلك نسبة إليه ، من أهم مقالاتهم: نفي أسماء الله وصفاته، والقول بخلق القرآن ، والقول بالإرجاء ، وغيرها.

انظر: انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص١٠٨).

(٣) **المعتزلة**: سموا بذلك لاعتزال مؤسس نحلتهم واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ)، مجلس الإمام الحسن البصري، بعد مخالفته له في مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل : إنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم تنحى عن مجلس الحسن ، واعتزل جانبا يقرر رأيه هذا ، فقيل له ولأتباعه من يومئذ المعتزلة.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٤)، الملل والنحل (١/ ٤٤_٤٥).

(٤) الكرامية: أتباع محمد بن كرام السجستاني ، انتهت بهم بدعتهم وغلوهم في إثبات الصفات إلى التجسيم، وتجويز قيام الحوادث بذات الله، وله مخالفات أخرى لمعتقد السلف.

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٩_١٠٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٥٤)، لسان الميزان (٥/ ٣٥٣_٣٥٦).

(٥) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠).

ومما تقدم يمكن أن يجعل مفهوم السلف في نطاق تأريخي، وفي نطاق أوسع من ذلك: فالأول يشمل مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم، ممن كان على الكتاب والسنة.

وأوسع من هذا ما يشمل القرون المفضلة وغيرها مما سار على نهج تلك القرون والتزم منهجهم في الفهم لنصوص الكتاب والسنة[١].

ثالثا: تناقل لقب السلف والانتساب إليه.

مما يجدر بالذكر أن أهل العلم قد تناقلوا في القرون المفضلة هذا المصطلح للدلالة على منهج الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

ومن تلكم النصوص الكثيرة:

١ـ عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول على رؤوس الناس : "دعوا حديث عمرو بن ثابت[٢] فإنه كان يسب السلف"[٣].

وانظر: حقيقة البدعة وأحكامها للغامدي (١/ ٢٧٥).

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي (ص٢٣)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (١/ ٤٠ـ٤١).

(٢) هو عمرو بن ثابت ، وهو ابن أبي المقدام الكوفي، مولى بكر بن وائل، ضعفه أهل العلم، ورموه بالرفض، ما سنة ١٧٢ هـ.

انظر: مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٦)، تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (رقم: ٥٠٣٠).

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٦).

٢ـ وقال الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم"[١].

وقال أيضا: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول"[٢].

٣ـ وقال البخاري رحمه الله : قال راشد بن سعيد[٣]: "كان السلف يستحبون الفحولة[٤] لأنها أجرى وأجسر"[٥].

قال الحافظ ابن حجر ـ مفسرا لكلمة السلف ـ : "أي من الصحابة ومن بعدهم".

٤ـ وقال البخاري أيضا: " باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم"[٦].

وأما الانتساب إلى السلف فإنه محمود وسديد، وليس هو بابتداع مذهب جديد.

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (ص٥٨)، شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: الشريعة (ص١٠٢)، مختصر العلو (ص١٣٨).

(٣) هو راشد بن سعيد بن راشد القرشي، أبو بكر الرملي، صدوق في الحديث، مات سنة ٢٤٣هـ. انظر: تقريب التهذيب (رقم: ١٨٦٥).

(٤) الفحل الذكر من الحيوان، ويقال في جمعه: فحول وفحولة.
انظر: المصباح المنير (ص٢٤٠).

(٥) انظر: فتح الباري (٦/ ٦٦).

(٦) المصدر السابق (٩/ ٥٥٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا"[(١)].

كما أنه جاء عن بعض أهل العلم أنهم عرفوا بانتسابهم للمذهب السلفي، بل عرف بذلك جماعة منهم، كما ذكر ذلك السمعاني[(٢)] وابن الأثير[(٣)(٤)].

وكذلك وجد من أهل العلم المعاصرين من أطلق هذه النسبة، كالشيخ عبد الرحمن المعلمي، والشيخ الألباني، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهم الله أجمعين وغيرهم[(٥)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٤٩).

(٢) هو عبد الكريم بن محمد بن المنصور بن محمد بن عبد الجبار ، أبو سعد، التميمي، السمعاني، المروزي الفقيه الشافعي، الحافظ ، صاحب الأنساب وغيرها من المصنفات مات بمرو سنة ٦١٤ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩، طبقات الشافعية (٤/ ٢٥٩)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٣١٦).

(٣) هو علي بن محمد ، أبو الحسن عز الدين ، ابن الأثير، إمام في حفظ الحديث ومعرفته ، صاحب الكامل، واللباب في تهذيب الأنساب وأسد الغابة ، مات بالموصل سنة ٦٣٠ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤).

(٤) انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ٢٧٣)، اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١٢٦).

(٥) انظر: القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي (ص٤٧، ٥١، ١٩٩)، مختصر العلو للشيخ الألباني (ص١٢٢)، مقدمة شرح العقيدة الطحاوية للشيخ الألباني (ص٥٧)،

ومن هنا فلا بد أن يعلم أن مذهب السلف خير من الخلف في العلم والعمل والإيمان والعقل والدين والعبادة وفي كل شيء يقرب من الله تعالى، قال ابن تيمية: "ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف ، أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة ، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علم"[1].

ويؤكد هذا المقارنة التي أجراها شيخ الإسلام بين من هو على هدى مستقيم، وبين من استهوته الشياطين في الأرض حيران، وفي كل واد يهيم، حيث قال: "ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون، الحيارى، المتهوكون، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة

تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (ص٣٤ت٣٥)، وسطية أهل السنة (ص١١٠ـ١١١).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١٥٨).

الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء؛ فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة!!"[1].

وأختم هذا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال في وصف الرعيل الأول: "من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"[2].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١١).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤).

المبحث الثالث: أهل الحديث.

المطلب الأول: تعريف الحديث.

يطلق الحديث في كتب اللغة ويراد به ضد القديم[1].

ويقال: الحديث الجديد[2].

وفي الاصطلاح : عرفه بعضهم بأنه : "ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي"[3].

المطلب الثاني: مفهوم أهل الحديث .

هذا اللقب من الأسماء التي ترد كثيرا عن أهل السنة والجماعة، وهم العاملون بحديث رسول الله ﷺ المتبعون لرسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا علما وعملا[4].

وهذا الاصطلاح قد وجد عند كثير من أهل العلم:

١ـ قال أحمد بن سنان القطان[5] ـ وقد جعل من سيم المبتدعة بغض الحديث وأهله ـ : "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه"[6].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (مادة: حدث).

(٢) انظر: القاموس المحيط (مادة: حدث)، ص٢١٤.

(٣) انظر: نزهة النظر (ص١٨)، منهج النقد في علوم الحديث (ص٢٦ـ٢٧).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٥٩).

(٥) هو أحمد بن سنان القطان، أبو جعفر الواسطي، من كبار أئمة الحديث في عصره، الحافظ المجود ، صنف المسند، ومات سنة ٢٥٨ هـ.

انظر: العبر للذهبي (١/ ٣٧٠)، السير (١٢/ ٢٤٤)، البداية والنهاية (١١/ ٣١).

(٦) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٧٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢١).

٢ـ وقال اللالكائي: "فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع ، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم وأحقهم بهذا الوسم وأخلصهم بهذا الرسم أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله ، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه"[(١)].

٣ـ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني[(٢)] : "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة.

ثم قال: وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومن عليهم بالتعرف والتفهيم"[(٣)].

فقد عبر بأحد اللقبين عن الآخر، كما أنه أماء إلى هذا في عنوان رسالته الموسومة: "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وأنهما بمعنى واحد.

(١) شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٢).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان، الصابوني، مقدم أهل الحديث في خراسان، وكان يلقب بشيخ الإسلام، من مؤلفاته الفصول في الأصول، ولد سنة ٣٧٣ هـ، ومات سنة ٤٤٩ هـ.

انظر: الأنساب للسمعاني (٨/ ٢٤٧ـ٢٤٨)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٧٦)، شذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٢٨٢ـ٢٨٣).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣ـ٤).

٤ـ وقال الأصبهاني: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، ... لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما..."[١].

٥ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "... مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة"[٢].

ولا يعني أهل العلم بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته، وإن جمع إلى ذلك نوع بدعة، بل المراد من ذلك كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه واتباعه كما سبق التنبيه عليه.

ولهذا لما سئل ابن الصلاح عن الفرق بين السنة والحديث وكيف جمع مالك بين الحديث والسنة، قال: " السنة ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين، فكان عالما بالسنة ـ أي : للحديث ـ ومعتقدا للسنة أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة"[٣].

وعلى هذا فإن ما يطلقه أهل العلم من لقب " أهل الحديث " ـ الذين هم أهله ـ في كتب العقائد فهم أهل السنة والجماعة، وهم السلف، كما مر التنبيه عليه[٤]، وذلك لأنهم لا يصدرون في أعمالهم وعقائدهم عن آراء قابلة للتسليم والرد، وإنما عما أثر عن النبي ﷺ من

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤ـ٢٢٥).

(٢) درء التعارض (١/ ٢٠٣).

(٣) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢١٣).

(٤) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٥٥ فما بعدها).

الأخبار المسندة عنه وعن أصحابه الكرام بنقل الثقات العدول، وتسميتهم مأخوذة من الكتاب والسنة لاتباعهم ما فيهما[1].

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٢٤).

المبحث الرابع: أهل الأثر.

المطلب الأول: تعريف الأثر.

يطلق الأثر في اللغة على بقية الشيء، وجمعه آثار[١].

وفي الاصطلاح: هو مرادف للخبر.

فيطلق على المرفوع والموقوف، وفقهاء خراسان[٢] يسمون الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر[٣].

المطلب الثاني: مفهوم أهل الأثر.

لقد وجد هذا اللقب عند كثير من أهل العلم، وهو مرادف لأهل الحديث، المشتغلين بحفظه وإتقانه ومعرفته، واتباع الدليل من الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، ومن ذلك:

ما قاله أبو حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل"[٤].

---

(١) انظر: القاموس المحيط ، (مادة : أثر)، (ص ٤٣٥).

(٢) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند غزنة وسجستان وكرمان، وهي مشتملة على بلدان عدة منها نيسابور، وهراة وبلخ، وغيرها.

انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: تدريب الراوي للسيوطي (ص٦)، توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري (ص٣).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩-١٨١).

وقال أيضا : "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر" أي وقيعتهم في أهل السنة[1].

كما أن الأئمة قد استخدموا هذا اللقب ومنهم : أبو نصر السجزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والسفاريني وغيرهم[2].

ويقول السفاريني في بيان حقيقة أهل الأثر : "الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه في كتابه، أو في سنة النبي ﷺ ، أو ما ثبت وصح عن السلف الصالح من الصحابة الكرام ، والتابعين لهم الفخام"[3].

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩ـ١٨١).

(٢) انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص١٧٥، ١٧٧، ٢٢٣)، درء التعارض (٦/ ٢٦٦)، لوامع الأنوار (١/ ٦٤).

(٣) لوامع الأنوار (١/ ٦٤).

المبحث الخامس: الفرقة الناجية.

مـأخذ هـذا اللقـب مـن قولـه ﷺ في حديـث الافـتراق[1] :

(...لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحـدة في الجنـة، وثنتـان وسبعون في النار).

قيل: يا رسول الله من هم؟

قال: (الجماعة)[2].

وهذا الوصف لا ينطبـق إلا علـى أهـل السنة والحديـث ، أهـل الحق، الذي يقولون الحق، وبه يعملون، ولهذا لما سئل الإمام أحمد عـن هذا الحديث وعن الفرقة الناجية قال: "إن لم يكونوا أصحـاب الحديـث فلا أدري من هم"[3].

وهذا اللقب أيضا قد استخدمه أهل العلم للدلالة علـى مذهـب أهل السنة والجماعة[4]، ومن ذلك قول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة في مقدمة الواسطية : "أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيـام الساعة أهل السنة والجماعة .."[5].

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (ص١٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٥).

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٩.

(٣) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص٢٥).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤).

(٥) العقيدة الواسطية ـ مع شرح الهراس ـ (ص١٤).

وقال أيضا : " فإذا كان وصف الفرقة الناجية أتباع الصحابة على عهد رسول الله ﷺ وذلك شعار أهل السنة كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة"[1].

كما أن بعضهم قد ضمنها عناوين مصنفاتهم كما فعل ابن بطة حيث وسم كتابه المشهور بـ :"الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"، وكما فعله ابن القيم في مصنفه : "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية".

وهذا ما قرره أهل العلم المعاصرون قال الشيخ حافظ الحكمي[2] ـ تحت عنوان "الفرقة الناجية" : "وقد أخبر الصادق المصدوق أن الفرقة الناجية من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه ، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها المنقادين لها المتمسكين بها أعني بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة"[3].

(١) منهاج السنة (٣/ ٤٥٧).

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، الفقيه الأديب، أحد أعلام جيزان، ولد بقرية السلام ، التابعة لمدينة المضايا ، طلب العلم واشتغل به، ألف مصنفات كثيرة، كأعلام السنة المنشورة ، ومعارج القبول، توفي سنة ١٣٧٧ هـ.
انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٩).

(٣) معارج القبول (١/ ١٩).

المبحث السادس: الطائفة المنصورة.

هذا اللقب استفيد من قول النبي ﷺ : (لا تـزال طائفـة مـن أمـتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[١].

وقال ﷺ : (لا تزال طائفـة مـن أمـتي منصوريـن لا يضرهـم مـن خذلهم حتى تقوم الساعة)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لا تزال طائفة مـن أمتي ظاهرين، (١٣/ ٢٩٣، رقم: ٧٣١١)، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب قـول النبيﷺ : لا تزال طائفة ..، (٣/ ١٥٢٣، رقم: ١٩٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع ، كتاب الفتن، باب ما جاء في الشـام، (٤/ ٤٨٥)، رقـم: ٢١٩٢، وابن ماجه في مقدمة سننه (١/ ٤)، رقم: ٦.

وقد صححه الشيخ الألباني. انظر: صحيح الـترمذي (٢/ ٢٣٩)، وصحيـح ابـن ماجـه (١/ ٦).

وفي الباب: عن جابر بن سمرة ، وسعد بن أبي وقاص، وعمـران بن حصين، وزيد بن أرقم، وأبي هريرة ، ومعاذ بن جبـل، وعقبـة بـن عامر، وغيرهم، حتى عده بعض أهل العلم من الأحاديث المتواترة[1].

وقد جاء تفسير هذا الحديث عن جمع من السلف:

قال ابن المبارك :"هم عندي أصحاب الحديث"[2].

وقال علي بن المديني: "هم أصحاب الحديـث، والذيـن يتعـاهدون مذاهب الرسول ﷺ ويذبون عـن العلـم لولاهـم لم تجـد عنـد المعتزلـة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء شيئا من السنن"[3].

وقال البخاري : "يعني أصحاب الحديث"[4].

ثم تتابع أهل العلم على هذا التفسير:

كابن قتيبة، وابن حبان[5]، والآجري، والحاكم[6]، والخطيـب

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦)، الأزهار المتنـاثرة للسيوطي (ص٢١٦)، نظم المتناثر للكتاني (ص٩٣)، صلاة العيدين للألباني (ص٣٩ـ٤٠).

(٢) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٦).

(٣) انظر: جامع الترمذي (٤/ ٤٨٥ رقم: ٢١٩٢)، شرف أصحاب الحديث (١٠،٢٧).

(٤) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص٢٧)، فتح الباري (١٣/ ٢٩٣).

(٥) هو محمد بن حاتم بن حبان البستي ، الإمام المحدث الحـافظ، الفقيـه، اللغـوي، مـات سنة ٣٥٤ هـ.

انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٤١)، معجم المؤلفين (٩/ ١٧٣).

(٦) هو محمد بن عبد الله بن محمد ، الحاكم أبو عبـد الله ، النيسـابوري، المعـروف بـابن البيع ، إمام أهل الحديث في عصره، مات سنة ٤٠٥ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣)، وفيات الأعيـان (٤/ ٢٨٠)، طبقـات الشـافعية للسـبكي (٣/ ٦٤).

البغدادي[١]، والبغوي[٢]، والنووي[٣]، وغيرهم[٤].

والمراد بأهل الحديث كما تقدم ذكره ؛ أهله رواية ودراية علما وعملا واتباعا، فهم أهل لصحبة أنفاس النبي ﷺ ، وهم أولى بهذا الوصف، قال أبو عبد الله الحاكم : "فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ"[٥].

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ، أبو بكر الخطيب البغدادي، الإمام المحدث، المؤرخ الأصولي، صاحب التصانيف الكثيرة، كتاريخ بغداد ، والكفاية وغيرهما، مات سنة ٤٦٣ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٢)، معجم المؤلفين (٢/ ٣).

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد ، الفراء، البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث المفسر، وكان بحرا في العلوم، مات سنة ٥١٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢١٤).

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، محيي الدين النووي، الإمام العلامة المشهور، وأحد أعيان الشافعية في عصره، مات سنة ٦٧٦ هـ.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٣٩٥)، شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤).

(٤) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٥١)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١/ ١٤)، الأربعين للآجري (ص٥٥)، معرفة علوم الحديث (ص٢ـ٣)، شرف أصحاب الحديث (ص٧ـ١٠)، شرح السنة للبغوي (٤/ ٢١٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ١٦ـ١٧).

(٥) معرفة علوم الحديث (ص٣٠).

وقال القاضي عياض[1]: "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"[2].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف أهل السنة والجماعة: " وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي..)"[3].

(١) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي الحافظ ، ولي القضاء، في سبتة ثم غرناطة وغيرها، مات سنة ٥٤٤ هـ.

انظر: شذرات الذهب (٤/ ١٣٨).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٦٦-٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٩).

المبحث السابع: الجمع بين ألقاب أهل السنة والجماعة.

يتضح مما سبق أن لأهل السنة والجماعة ألقابا عدة ظهروا بها على غيرهم من الفرق الضالة، ينشدون بذلك تمييز الحق من الباطل، ولذلك من تأملها فإنه يظهر له أنها تدل على الإسلام فبعضها ثابت لهم بالنص من الرسول ﷺ ، وبعضها إنما حصل لهم بفضل تحقيقهم للإسلام تحقيقا صحيحا، وهي بذلك مخالفة لمسميات أهل البدع وألقابهم.

والناظر في ألقاب أهل السنة يتبين له مباينتها لمنهج أهل الأهواء ومسمياتهم، ولعلي أتطرق في هذه العجالة لبعض النقاط التي تلخص ذلك كله:

أولا: أن ألقاب أهل السنة والجماعة نسب لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة فهي تحوي جميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدى بهم في تلقي العلم وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه.

ثانيا: أنها تحوي كل الإسلام ـ الكتاب والسنة ـ فهي لا تختص برسم يخالف الكتاب والسنة زيادة أو نقصا.

ثالثا: أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة، ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة مناهج أهل الأهواء والفرق الضالة، لرد بدعتهم والتميز عنهم.

رابعا: أن عقد الولاء والبراء والموالاة والمعاداة لديهم هو على الإسلام لا غير، لا على رسم باسم معين، ولا على رسم محدد، إنما هو الكتاب والسنة فحسب.

خامسا: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ .

سادسا: أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معين ولا لطائفة معينة، فإذا قيل: أهل السنة والجماعة انتظم هذا اللقب هذه الخواص، وهذا لا يكون لأحد من أهل الفرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقوا بها عن جماعة المسلمين، وهكذا بقية ألقاب أهل السنة[1].

وهكذا فإنه يستخلص مما تقدم أن هذه الألقاب كلها تطلق على السلف، فالسلف الصالح : هم أهل السنة لاتباعهم سنة رسول الله ﷺ .

وهم الجماعة لاجتماعهم على الحق.

وهم أهل الحديث والأثر لاتباعهم حديث رسول الله ﷺ وتطبيقه ظاهرا وباطنا.

وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين استثناهم رسول الله ﷺ من فرق أهل النار الهالكة، وهذا الوصف الذي ورد في النصوص

(١) انظر: حكم الانتماء للشيخ بكر أبي زيد (ص٣١ـ٣٧).

لا ينطبق إلا عليهم وعلى من اتبع منهجهم ، واقتفى آثارهم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وهذا الذي ذكره أهل العلم في هذا الباب، ويحسن ذكر جملة من ذلك ليتضح اجتماع هذه الألقاب في أهل السنة والجماعة، فمن ذلك:

قال ابن حزم: "وأهل السنة الذين نذكرهم هم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة ﷺ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم نم العوام في شرق الأرض وغربها"[1].

وقال اللالكائي ـ بعد الكلام على الفرقة الناجية ـ: "فهي الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة"[2].

وقال النووي: "يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بحرب وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض"[3].

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٢/ ١١٣).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ٦٦)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا وصف الفرقة (أي الناجية)، بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية ، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع"[1].

وقال ابن رجب: "وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة ، فبسببها تفرق أهل القبلة، وصاروا شيعا، وكفر بعضهم بعضا، وأصبحوا أعداء وفرقا وأحزابا، بعد أن كانوا إخوانا قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة الناجية ، وهم المذكورون في قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ...) وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث"[2].

وأختم هذا الفصل بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية أحسن تقرير في ذكر حقيقة أهل السنة والجماعة ونسبهم فقد قال ـ في خاتمة الواسطية ـ : " لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: (هم ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

(٢) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (ص٢٢).

الهدى ومصابيح الدجى أولـوا المنـاقب المـأثورة والفضـائل المذكـورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، وهم الطائفة المنصـورة الذيـن قـال فيهم النبي ﷺ : (لا تزال طائفة مـن أمـتي) ـ الحديـث ـ نسـأل الله أن يجعلنا منهم ولا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا"[١].

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٤١١)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٩٧).

البَابُ الثَانِي: خَصَائِصُ أَهْلِ السُّنَّة والجَمَاعَة في التَّلَقي والاِسْتِدلاَل

وفيه تمهيد وسبعة فصول:

التمهيد: مصادر التلقي عند السلف إجمالا.

الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الثاني: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك.

الفصل الثالث: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة وعدم التفريق بينهما.

الفصل الرابع: دلالة الإجماع والعقل الصريح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد.

الفصل الخامس: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

الفصل السادس: رد التأويل لنصوص التنزيل.

الفصل السابع: تقديم فهم السلف أهل القرون المفضلة للنصوص الشرعية واعتبار ذلك.

التمهيد: مصادر التلقي عند السلف إجمالا.

إن من خصائص أهل السنة والجماعة رجوعهم في تلقيهم العلم والاعتقاد إلى الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، متمثلا في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سنة رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه، لا يرغبون بغيرهما بدلا عنهما، ويؤيدون ذلك بالإجماع الذي مبناه على الوحي، وبالعقل الصحيح والفطرة السليمة، اللذين يقويان نصوص الكتاب والسنة، من باب توارد الأدلة.

فتلخص من هذا أن أهل السنة والجماعة يستقون المسائل العلمية والاعتقادية والعملية من مصادر معينة، وهي نوعان:

١ـ مصادر أساسية: الكتاب والسنة.

وما ينبني عليهما من الإجماع.

قال الخطيب البغدادي: "وأما الكتاب والسنة فهما الأصلان الذان يقدم الاحتجاج بهما في أحكام الشرع على ما سواهما، ويتلوهما الإجماع، وليس يعرفه إلا من عرف الاختلاف"[١].

٢ـ مصادر فرعية: العقل الصحيح، والفطرة السليمة.

وسأتعرض هنا إلى نبذ من التعريفات وما يتعلق بها من مسائل بشكل موجز.

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٤٠).

المبحث الأول: المصدر الأول: القرآن الكريم.

المطلب الأول: التعريف بالقرآن في اللغة والاصطلاح.

أولا: معنى القرآن لغة.

القرآن : أصله من مادة قرأ، ومن قرأتُ الشيء ، فهو قرآن أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فصار معناه: الجمع والضم.

ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا، أي لم يضم رحمها على ولد[1].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى قال الله جل وعلا: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾[3].

قال أبو عبيدة[4] في معنى الآية الأولى : "تأليفه بعضه إلى بعض".وقال في معنى الآية الثانية: "إذا تلوت بعضه في إثر بعض ، حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع"[1].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (مادة: قرأ) ، (١/ ٦٥)، لسان العرب لابن منظور، (مادة: قرأ)، (١/ ١٢٨).

(٢) سورة القيامة، الآية ١٧.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٤) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي المشهور، ولد سنة ١١٠هـ، من تصانيفه مجاز القرآن، غريب الحديث، وغيرهما، مات سنة ٢٠٩ هـ، وقيل غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧١).

ثانيا: معنى القرآن اصطلاحا.

عرفه أهل السنة والجماعة كما قال الطحاوي: "وإن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر فقد كفر"[(٢)].

إلا أن هذا التعريف يغلب عليه التعريف بالوصف، وذلك أنه أدخل فيه كثير من مباحث الاعتقاد ، وليس ذلك إلا لبيان الحق في القرآن الكريم لما أحدث الجهمية مسائل متعددة متعلقة بالقرآن الكريم، فاضطر أهل السنة والجماعة أن يعرفوه بمثل ذلك ليتميز تعريف السلف عن تعريف الجهمية.

وعرفه السيوطي بقوله: " وأما في العرف فهو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه".

قال: وزاد بعض المتأخرين: "المتعبد بتلاوته" ليخرج المنسوخ تلاوة"[(٣)].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١ـ٣)، بتحقيق: محمد فؤاد سيزكين، دار الفكر، ط:٢، ١٩٧٠م، مصر.

(٢) العقيدة الطحاوية ـ مع شرحها لابى أبي العز ـ (ص١٢١ـ١٢٢).

(٣) التحبير في علم التفسير، (ص٣٩ـ٤٠)، بتحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، ط:١، ١٤٠٢هـ، الرياض.

وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٩٨).

المطلب الثاني: القرآن كلام الله عز وجل.

عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه تكلم به حقيقة، وإضافته إليه سبحانه إضافة حقيقية، من باب إضافة الكلام إلى قائله، وهو الذي أنزله على رسوله ﷺ، قال الله جل وعلا: ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾[2].

وقال النبي ﷺ : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا، أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[3].

إلى غير ذلك من الأدلة.

فهذه النصوص كافية في بيان أن القرآن كلام الله تعالى المنزل على النبي ﷺ.

ثم إن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه، قال عز من قائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[4].

(١) سورة النمل، الآية ٦.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢.

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ٩/ ٣، رقم: ٤٩٨١.

(٤) سورة الحجر، الآية ٩.

فالله تعالى أنزل كتابه ليكون للعالمين نذيرا، وليصبح مهيمنا على ما سبقه من الكتب، وحفظه من عبث المحرفين والمبطلين، ليبقى هذا القرآن مصونا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثالث: منهج السلف في تفسير القرآن الكريم.

كما أن القرآن الكريم هو من المصادر الأساسية التي اعتنى به أهل العلم قديما وحديثا، فإن السلف قد وضعوا له ضوابط في معرفة معناه وتفسيره، لإدراك المعنى الصحيح المقصود من النص القرآني، وللسلامة من الانحراف والانزلاق، وتكمن هذه الضوابط في النقاط التالية:

١ـ طلب معرفة تفسير القرآن ومعناه من القرآن نفسه، أي تفسير القرآن بالقرآن، إذ أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم : الاستدلال ببعض كلامه على بعض، حسب ما تقتضيه قواعد اللغة، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾[(٢)].

ففي القرآن الكريم كثير من القصص تأتي موجزة هنا، ومفصلة في موطن آخر، كقصة فرعون وموسى حيث أوجزها في سورة البقرة، وفصل فيها في سورة الأعراف وغيرها.

وقد يرد النص مطلقا في موضع ، ثم يذكره مقيدا في موضع آخر، أو يأتي النص القرآني عاما، ثم يذكره الله تعالى خاصا، ففي هذه

(١) سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٨.

الحال يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى أن يجمع الآيات في الموضوع الواحد ، ثم ينظر فيها مجتمعة ليعرف ما قد يكون بينها من علائق.

٢ـ كما أن المفسر يحتاج إلى طلب تفسير الآية من سنة النبي ﷺ ، فإنها لبيان للقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[2].

وقد ذكر أهل العلم أن السنة تأتي:

أ ـ مفسرة لبعض ما أجمل في كتاب الله تعالى كالصلوات والصيام والزكاة، وغيرها من مباني الإسلام، قد جاءت السنة فبينت واجباتها وسننها ومكروهاتها ونحو ذلك من جهة، ووضحت هيئاتها وقدرها، وأنصبتها من جهة أخرى.

ب ـ مخصصة لعموم الكتاب العزيز، كتخصيص الوصية بالثلث فقط، دون الزيادة عليه.

ج ـ مقيدة لما في كتاب الله تعالى[3].

٣ـ فإن تعذر فهم النص القرآني من السنة، طلبه المفسر من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، فهم أعلم بالتنزيل، لما شاهدوه من

---

(١) سور النساء، الآية ١٠٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٣) انظر: السنة للمروزي، (ص٣٠ـ٣١)، دار الفكر، دمشق ، الشام، الرسالة للشافعي، (ص٦٥،٦٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، ط:١، ١٣٥٨هـ، مصر.

الأحوال، واختصهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فهم أولى الناس بالفهم الصحيح، والعمل الصالح.

وإن اختلفت آراؤهم في تفسير الآية فليس من باب اختلاف تضاد، بل من باب اختلاف تنوع، كما قد بسطه أهل العلم.

٤ـ فإن لم يجد المفسر ما يعينه على فهم المراد من النص، فإنه يرجع إلى كلام أئمة التابعين من علماء التفسير، كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن المسيب[١]، وقتادة[٢]، وغيرهم، وتابعيهم، ومن بعدهم من أئمة الهدى، حيث إنهم أقرب عهدا بنزول القرآن، وأعرف من غيرهم بلغته وأساليبه، وأكثر حفظا للسنة والآثار، فهم أحق بالاقتداء بفهمهم ممن جاء بعدهم[٣].

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي القرشي، أحد العلماء الأثبات، والفقهاء الكبار، والأئمة الأعلام، مات سنة ٩٤ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، تقريب التهذيب (رقم: ٢٤٠٩)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٢).

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، أبو الخطاب، الإمام المفسر، ثقة ثبت، مات سنة ١١٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٥)، تقريب التهذيب (رقم: ٥٥٥٣).

(٣) انظر لهذا المطلب: الرسالة، للشافعي (ص٤٢)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٦٢ فما بعدها)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٧٥)، مطبعة حجازي، ١٣٦٨ هـ، القاهرة، مصر، التحبير في علم التفسير (ص٣٢٣)، أصول التفسير لخالد عبد الرحمن العك (ص٥٠ـ٥١)، ط:١، ١٣٨٩ هـ.

المبحث الثاني: المصدر الثاني: السنة.

قد مضى الكلام في التعريف بالسنة والكلام عليه في الفصل الأول من الباب الأول[1]، إلا أنه يعنينا هنا من المطالب أن نبين أن السنة وحي من الله تعالى محفوظة، وهي مصدر من المصادر في التشريع، وهذا ما سأذكره إن شاء الله تعالى.

مطلب: السنة وحي من الله تعالى محفوظة.

أولا: الأدلة على أن السنة وحي من الله تعالى.

لقد دلت النصوص الشرعية على أن السنة وحي من الله تعالى، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

١ـ دلالة القرآن على أن السنة وحي.

جاءت الآيات الكثيرة تنص على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[2].

والآية عامة في كل ما ينطق به النبي ﷺ ولهذا قال ابن حزم: "فصح لنا بذلك أن الوحي من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ ينقسم على قسمين.." فذكر الكتاب والسنة[3].

---

(١) انظر: ص ٣٥ من هذه الرسالة.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣،٤.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١/١٠٨)، تحقيق: محمد أحمد، مكتبة عاطف، مطبعة الامتياز، ١٣٩٨ هـ، مصر.

وقال عز وجل: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾[2].

قال الإمام الشافعي: "سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة سنة رسول الله"[3].

وهكذا قال القرطبي نقلا عن أهل العلم بالتفسير[4].

٢ـ دلالة السنة النبوية على أن السنة وحي.

كما أنه قد ورد في أحاديث عدة أن السنة وحي من الله تعالى، فمن ذلك:

أ ـ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[5] لما قيل له: " أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٤.

(٣) الرسالة (ص٧٨).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨٣).

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد، أبو محمد، أحد السابقين من الصحابة والمكثرين منهم، وأحد العبادلة الأفقهاء، مات في حدود سنة ٦٥ هـ، في ذي الحجة ليال الحرة على الأصح بالطائف على الراجح.

انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٣٥٢٣)، وتعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند (٩/ ١٨٨).

والرضا"، فأمسك عن الكتاب حتى ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ : (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)[1].

ب ـ وقال النبي ﷺ : (إن الروح الأمين قد ألقى في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها...) الحديث[2].

٣ـ دلالة الإجماع على أن السنة وحي من الله.

قال الشوكاني: " وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم، على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام"[3].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن"[4].

ثانيا: حفظ السنة النبوية.

اتضح لنا من خلال ما سبق أن السنة وحي من الله تعالى ، ومعلوم من النصوص الشرعية أن الوحي محفوظ من الله تعالى، قال

---

(١) أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب العلم، باب في كتابة العلم، (٤/ ٦٠)، رقم: ٣٦٤٦، والحاكم في مستدركه، (١/ ١٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

وقد قواه الحافظ ابن حجر. انظر: فتح الباري (١/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه الشافعي في الرسالة (ص٩٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨١) رقم: ١١٤١.

ومعنى الحديث مشهور كما قال ابن المنذر ، نقله عنه الشيخ أحمد شاكر، وقواه، انظر: حاشية الشيخ أحمد شاكر على الرسالة (ص٩٦ـ٩٧).

(٣) إرشاد الفحول (ص٣٣).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٦٤).

الله جل وعلا: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، يقول ابن حزم: "فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله عز وجل، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله، فلله الحجة علينا أبداً"[1].

وكان هذا الحفظ متمثلا في أمور عدة: منها طريقة النبي ﷺ في تثبيت السنة في صدور الصحابة، ثم جهود الصحابة في حفظ السنة، ثم جاء التابعون بعدهم فاتبعوا خطا من كان قبلهم وحرصوا على حفظ السنة ونشرها، ثم صنفت الصحاح والمسانيد والسنن، ووضعت بعدها قواعد علوم الحديث ونقد المتون، والجرح والتعديل ودراسة الأسانيد، كل ذلك حفاظا على سنة النبي ﷺ من التغيير أو التبديل[2].

(١) الإحكام (١/ ١١٠).

(٢) وقد صنفت مصنفات عدة عنت بمراحل الحفظ السنة من عهد النبي ﷺ إلى عصر تدوين السنة، ومن ذلك على سبيل التمثيل: دراسات في الحديث النبوي، للأعظمي، تدوين السنة النبوية للشيخ محمد مطر الزهراني، والسنة قبل التدوين.

المبحث الثالث: المصدر الثالث: الإجماع.

المطلب الأول: تعريف الإجماع.

أولا: تعريف الإجماع في اللغة.

الإجماع مصدر: أجمع، فيقال أجمع يجمع، إجماعا فهو مجمع، ويطلق ويراد به ما يلي:

١ـ العزم المؤكد، فيقال: أجمع فلان على السفر، إذا عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاؤكم﴾[١]، أي أعزموا أمركم.

٢ـ الاتفاق، فيقال: أجمع المسلمون على كذا ، أي اتفقوا عليه، ومنه قوله ﷺ : (لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا)[٢][٣].

ولا شك أن الموافق للمعنى الاصطلاحي هو الثاني ، لأن العزم قد يتصور من غير اجتماع.

---

(١) سورة يونس ، الآية ٧١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٥ـ١١٧).

وله شواهد منها: ما أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ٥/ ٣٣٤، رقم: ٢١٦٨، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٩).

وقد قوى الحديث الشيخ الألباني .

انظر: تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٦١)، وظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم الحديث : ٨٠.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٥٧ـ٥٨)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي ، (مادة: جمع)، (٣/ ١٤).

ثانيا: تعريف الإجماع اصطلاحا.

لعلماء الأصول في تعريف الإجماع تعاريف عدة، من أخصرها وأدقها على المطلوب: "اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور"[1].

وقد شرح أهل العلم تعريف الإجماع وذكروا محترزاته، فأحيل هنا على بعض تلك المصادر رغبة في الإيجاز[2].

المطلب الثاني: الأدلة على حجية الإجماع.

ذهب جمهور العلماء على أن الإجماع حجة شرعية، واستدلوا على ذلك بدلائل عدة منها:

أولا: أدلة الكتاب على حجية الإجماع.

١ـ قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[3].

---

(١) انظر: إرشاد الفحول (ص٧١)، حاشية العطار على جمع الجوامع، للشيخ حسن العطار (٢/ ٢١٠)، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٨ هـ.

(٢) انظر: الإحكام لابن حزم (٤/ ٦٥٩)، إحكام الأحكام للآمدي (١/ ١٤٨، ١٧٠)، الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٤٩)، نهاية السول في شرح منهاج الوصول للأسنوي (٣/ ٢٣٨)، كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبد العزيز بن أحمد البخاري (٣/ ٢٦١)، حاشية البناني على شرح المحلي على متن جمع الجوامع (١/ ١٧٧)، حجية الإجماع لفرغلي (ص٥٤).

(٣) سورة النساء، الآية ١١٥.

وهذه الآية من أقوى الأدلة على حجية الإجماع، استدل بها الإمام الشافعي على ذلك، وأن الله تعالى جمع بين مشاقة الرسول ﷺ وبين مخالفة سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بينه وبين المحظور، فتبين أنه استوى فيه الحكم من جهة الطرفين، وأن كليهما يجتمعان في كونهما محظورين[١].

٢ـ وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، والوسط الخيار العدول.

ولما كان قول الشاهد حجة على غيره، يجب العمل بمقتضاه، كان قول الأمة وإجماعها حجة يجب العمل بمقتضاه أيضا[٢].

ثانيا: أدلة السنة على حجية الإجماع.

ومن السنة أيضا ما يدل لذلك، ومنه :

١ـ قوله ﷺ : (ألا فمن سره بحبحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد...)[٣].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١٧٨)، أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٢٤٣)، الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر: الإبهاج شرح المنهاج (٢/ ٣٥٨)، أصول السرخسي (١/ ٢٩٧)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ١٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٥/ ٣٣٣)، رقم: ٢١٦٦، والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ١١٣ـ١١٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن يستشهد، ٢/ ٤٣.

وقد صححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم: ٤٣١).

ووجه الدلالة منه أنه إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، فلم يكن حينئذ في لزوم الأبدان معنى، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما[(١)].

ومنها أيضا: الحديث الذي مر قبل قليل، وهو قوله ﷺ: (لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا)[(٢)(٣)].

ثالثا: دلالة المعقول على حجية الإجماع.

أنه قد ثبت قطعا أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء، وأن شريعته باقية إلى قيام الساعة، وقد حدثت بعد موته ﷺ حوادث ليس فيها نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، ولكن أجمعت الأمة على حكمها، فإن قلنا: إن إجماعهم ليس بحجة للزم بذلك القطع بأن الشريعة غير دائمة، فيؤدي ذلك إلى الخلف في أخبار الشارع، وإما أن يقال إن إجماعهم حجة لئلا يؤدي إلى المحال وهو انقطاع الشريعة[(٤)].

المطلب الثالث: مفاد الإجماع.

اختلف القائلون بحجية الإجماع فيما يفيده الإجماع على مذاهب:

الأول: أن الإجماع حجة قطعية. وهو مذهب الأكثر.

الثاني: الإجماع لا يفيد إلا الظن، وهو اختيار الرازي والآمدي.

---

(١) انظر: الرسالة للشافعي (ص٤٧٥-٤٧٦).

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

(٣) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (١/ ٣٤١).

(٤) انظر: كشف الأسرار (٣/ ٢٦٠).

الثالث: التفصيل بين ما اتفق عليه المعتبرون، فيكون حجة قطعية، وبين ما اختلفوا فيه كالإجماع السكوتي، وما ندر مخالفه، فيكون حجة ظنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصواب التفصيل بين ما يقطع به من الإجماع، ويعلم يقينا أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلا، فهذا يجب القطع بأنه حق"[(١)].

وقال أيضا: "وتنازعوا في الإجماع : هل هو حجة قطعية أو ظنية؟ والتحقيق: أن قطعه قطعي، وظنيه ظني..."[(٢)(٣)].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٣٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٧٠).

(٣) انظر في تفصيل المسألة: أصول السرخسي (١/ ٢٩٥)، المحصول للرازي (٢/ ١/ ٢٩٨)، كشف الأسرار (٣/ ٢٥١)، إرشاد الفحول (ص٧٨)، حاشية البناني (٢/ ٢٠٠).

المبحث الرابع: منزلة العقل عند السلف.

المطلب الأول: تعريف العقل.

أولا: تعريف العقل لغة.

العقل مصدر عقل، يعقل عقلا، فهو معقول.

قال ابن فارس: "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس يدل على حبسة في الشيء.. ومن ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[1].

وأصل معنى العقل المنع والحبس ، ومنه عقال البعير، ويقال: عقل الدواء بطنه إذا مسكه، واعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام[2].

وسمي العقل عقلا لأنه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه[3].

ويرادف لفظ العقل في معناه: اللب، والفكر، والحلم والنهى، وغيرها.

فلم يذكر لفظ العقل في القرآن الكريم، وإنما يوجد ما تصرف منه نحو: ﴿يعقلون﴾، ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾، وذكرت أيضا الأسماء التي تتضمن معنى العقل، كالنهى والألباب .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٢٣٨ـ٢٤٠)، لسان العرب (١١/ ٤٥٨ـ٤٦٠).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٤/ ١٨).

ولا تكاد تجد لفظ العقل ـ كمصدر ـ في السنة الصحيحة إلا مثل حديث قوله ﷺ : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)[1][2].

ثانيا: تعريف العقل اصطلاحا.

تعددت آراء الناس في حد العقل ومعناه، وهنا أذكر ما سطره أهل العلم في حده، ثم بعد ذلك أتعرض لذكر مفهومه عند السلف.

قال الباجي[3] في حد العقل: "هو العلم الضروري الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء"[4].

قوله : "العلم الضروري" هو ما يلزم نفس المخلوق بحيث لا يمكنه الانفكاك منه ولا الخروج عنه.

وقوله: "يقع ابتداء" أي من غير تحصيل، ولا كسب له عن طريق أحد الحواس الخمس.

وقوله: "ويعم العقلاء" أي كل عاقل من بني آدم[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٠٥)، رقم: ٣٠٤.

(٢) انظر: بغية المرتاد لابن تيمية (ص٢٤٨ـ٢٥٠).

(٣) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي، القرطبي، من كبار فقهاء المالكية، ومن المشتغلين بعلم الحديث رواية ودراية، مات سنة ٤٧٤ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥).

(٤) كتاب الحدود في الأصول (ص٣١)، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، ط:١، ١٣٩٢هـ، بيروت.

(٥) انظر: كتاب الحدود (ص٢٥).

وعلى هذا التعريف ملحوظات عدة، فإن العقل يطلق على ما هو أعم من قصره على العلوم الضرورية ، وسيأتي التنبيه على ذلك عند الكلام على مفهوم العقل عند السلف.

المطلب الثاني: مكان العقل.

اختلف أهل العلم في مكان العقل من الإنسان:

فقال بعضهم: إن العقل محله الدماغ، أي الرأس.

وهو رأي الحنفية والحنابلة وغيرهم.

وقال بعضهم: محله القلب، بدليل قوله تعالى: ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾.

وهو رأي المالكية والشافعية وبعض الحنابلة.

ويرى بعض المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية أن العقل له تعلقان: يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد، والتصور محله الدماغ[1].

وراجع للوقوف على تعريف العقل: العدة لأبي يعلى (١/ ٨٣)، أصول الفقه لابن عقيل (١/ ٣٥)، التمهيد للكلوذاني (١/ ٤٣)، قواطع الأدلة للسمعاني (١/ ٢٦)، إحكام الفصول للباجي (ص١٧١).

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣٠٤).

وراجع لهذه المسألة: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٧٠)، المسودة لآل تيمية (ص٥٥٩_٥٦٠).

المطلب الثالث: مفهوم العقل عند السلف.

لقد تجاذبت آراء الناس في معرفة حقيقة العقل ومعناه ، فخاض فيه المتكلمون والفلاسفة وغيرهم، واضطربت آراؤهم في ذلك، فبين أهل السنة والجماعة المعاني المتعلقة بالعقل، وأنها أربعة معان وهي: العلوم الضرورية ، والعلوم المكتسبة، والعمل بالعلم، والغريزة المدركة.

أولا: العلوم الضرورية.

وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات، والواجبات والممتنعات، وهذا المعنى يفرق به بين العاقل والمجنون الذي رفع عنه القلم، وهو مناط التكليف.

ثانيا: العلوم المكتسبة.

وهي التي تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

وتدخل فيه العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال.

ثالثا: العمل بالعلم.

وهذا أيضا يدخل في مسمى العقل، بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

ولهذا قال بعضهم: "العقل: الإمساك عن القبيح، قصر النفس وحبسها على الحسن"[1].

(١) انظر: المخصص لابن سيده (١/ ٣/ ١٦)، المكتب التجاري، بيروت.

رابعا: الغريزة.

وهي التي بها يعقل الإنسان، وهـي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان.

وقد روي هذا المعنى عن جمع من السلف كابن المبارك، والإمام أحمد وغيرهم[1].

هذه هي المعاني التي ذكرها السلف للعقل، خلافا لمن حصرها في الأمور الضرورية غير المكتسبة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمقصود أن اسم العقل في اصطلاح جميع المسلمين بل جميع أهل الملل وعامة بني آدم يراد به ما هو قائم بغيره سواء كان علما أو قوة أو عملا بعلم ونحو ذلك، ولا يراد به ما هو جوهر قائم بنفسه إلا في اصطلاح هؤلاء الفلاسفة"[3].

---

(١) انظر: روضة العقلاء لابن حبان (ص٤١)، العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (١/ ٧٦)، بغية المرتاد (ص٢٥٧).

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٧، ٣٨)، بغية المرتاد (ص٢٥٧، ٢٦٠ـ٢٦٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٢٨٧، ٣٠٥، ١٦/ ٣٣٦)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٩)، المسودة (ص٥٥٨ـ٥٥٩).

(٣) الصفدية (٢/ ٢٥٨).

المطلب الرابع: مرتبة العقل عند أهل السنة والجماعة.

لقد رفع الإسلام من شأن العقل إلى مكانة عالية، واعتنى به عناية فائقة، حيث إنه ورد في النصوص الشرعية ما يفهم منها أن انتفاء العقل مذمة، وقد ذكرت معانيه كثيرا في القرآن الكريم كالتفكر والاعتبار والتذكر والتدبر والنظر إلى مخلوقات الله، كلها تومئ إلى أنها أوصاف مدح وكمال المتصف بها، وأن انتفاءها مذمة له وهوان.

ومن تلك العناية أن حرم الله تعالى ما يذهب هذا العقل من الخمور وما كان في حكمه، وحرم ما ينافيه من الترهات والخرافات كالسحر والكهانة والطيرة والتشاؤم ونحو ذلك[1].

إلا أن هذا لا يعني أن السلف أعطوا للعقل في كل مجال وفي جميع العلوم، بل إنهم قصروه في بعضها على الإدراك الإجمالي دون التفصيلي، وفي بعض الحالات ليس للعاقل إلا التسليم والإيمان.

وتفصيل هذا الكلام أن العلوم قسمها أهل العلم إلى أقسام عدة:

أولا: العلوم الضرورية الفطرية، وهي التي لا يمكن التشكيك فيها.

ثانيا: العلوم النظرية المكتسبة بالنظر والاستدلال، فهذه يستند العقل في تحصيلها إلى القسم الأول.

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١/ ١٦٨).

الثالث: العلوم الغيبية، وهذه لا يعلمها العقل إلا بتعليم، ويدخل فيها أكثر مسائل الاعتقاد التفصيلية، وغاية حظ العقل منها ـ سوى الفهم والتسليم ـ إثبات إمكانها، ونفي امتناعها[1].

فأهل السنة والجماعة لم يعطوا للعقل أكبر من قدره ، ولا جاوزوا حدوده، ولا قالوا : يقدم على السمع، ويحكم فيه، كما سيأتي التفصيل فيه، بل ولا نصبوا العداء بين العقل والنقل، بل العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح.

كما أنهم لم يهملوا العقل ويقللوا من شأنه، بل استعملوه فيما يوافق به الشرع ويعضده، هذا هو المنهج الذي ساروا عليه من حيث الإجمال، وسيأتي مزيد تفصيل في المباحث القادمة إن شاء الله تعالى.

وقبل أن أختم أود أن أشير إلى المثل الذي ضربه شيخ الإسلام ابن تيمية لبيان منزلة العقل حيث مثل العقل في دلالته على صدق الشرع وصحته بالعامي الذي علم عين المفتي، ودل غيره عليه، وبين له أنه عالم مفت، فإن دلالة هذا العامي على المفتي وتعريفه به لا توجب له أن يقدم قوله عليه إذا اختلف معه، بل لا يحق لهذا العامي أن يخالف حكم المفتي العالم ، أو يعارض اجتهاده[2].

ويقول السمعاني في بيان منهج السلف : "واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨ـ١٣٩).

في الدين الاتباع والمأثور، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي ولقال من شاء ما شاء..."[1].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني (١/ ٣١٩،٣٢٠)، صون المنطق للسيوطي (ص١٨٢).

المبحث الخامس: الفطرة.

المطلب الأول: تعريف الفطرة.

أولا: تعريف الفطرة لغة.

الفطرة : من فطر الشيء يفطره فطرا فانفطر، وفطره، أي شقه وتفطر: تشقق، فالفطر: الشق.

وفطر الله الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم، فالفطر:الابتداء والاختراع.

وتطلق أيضا الفطرة على الخلقة[1].

ثانيا: تعريف الفطرة اصطلاحا.

الفطرة في الاصطلاح مما اختلف فيه أهل العلم إلى أقوال عدة والذي رجحه المحققون منهم أن الفطرة بمعنى الإسلام، وهذا ما سيأتي عرضه في المطلب الآتي.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥١٠)، الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨١)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٤٥٧)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥-٥٨).

المطلب الثاني: معنى الفطرة عند السلف.

أولا: معنى الفطرة .

اختلف أهل العلم في معنى الفطرة الواردة في الحديث السابق ، والذي عليه عامة السلف أنها بمعنى الإسلام.

وذلك لعدة أدلة منها:

١ـ قوله ﷺ : (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...) الحديث[1].

٢ـ وقال النبي ﷺ : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤/ ٢١٩٧) رقم: ٢٨٦٥، من حديث عياض بن حمار.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، (٣/ ٢١٩ ـ مع فتح الباري ـ) رقم: ١٣٥٨، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٤/ ٢٠٤٧) رقم: ٢٦٥٨.

٣ـ تفسير جمع من السلف لقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، وأن المراد من الآية دين الله الإسلام.

ورد ذلك عن سعيد بن جبير[١] ومجاهد[٢] وعكرمة[٣] وغيرهم[٤].

وهذا القول هو الذي رجحه البخاري[٥]، وابن تيمية، وابن القيم[٦]، وغيرهم[٧].

---

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، من كبار أئمة التابعين، ومتقدميهم في الحديث والتفسير والفقه والعبادة والورع، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ، وعمره تسع وأربعون.

انظر: الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٣٢١).

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم، الإمام المشهور شيخ القراء والمفسرين، سكن الكوفة وكان كثير الأسفار والتنقل، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، مات سنة ثلاث ومائة، وقيل غير ذلك، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة.

انظر: الطبقات لابن سعد (٥/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤٤٩)، تقريب التهذيب (٦٥٢٣).

(٣) هو عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، عالم بالتفسير، من الثقات الأثبات، من أعلم الناس بالتفسير في عصره، مات سنة ١٠٤ هـ، وقيل بعد ذلك.

انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٧/ الترجمة ٢١٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ١٢ـ٣٦)، تقريب التهذيب لابن حجر (٤٧٠٧).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/ ٤٠ـ٤١)، التمهيد (١٨/ ٧٢)، درء التعارض (٨/ ٣٧٤).

(٥) انظر: صحيح البخاري، التفسير، سورة الروم، باب ﴿لا تبديل لخلق الله﴾، (٨/ ٥١٢).

(٦) انظر: شفاء العليل (٢/ ٧٨٣).

(٧) انظر للتوسع: التمهيد لابن عبد البر (٨/ ٦٨ـ٤٢٦ـ٤٣٢)، درء التعارض (٨/ ٣٧١ـ٣٧٢،٣٨٧ـ٣٩٠، ٤١٠،٤٢٣،٤٢٥،٤٥٤،٤٦٦٨)، الرسائل الكبرى لابن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه، وهو أنهم ولدوا على الفطرة ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، ولا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان مستلزمة له لولا المعارض"[1].

ثانيا: معنى دلالة الفطرة عند السلف.

إن السلف رضوان الله عليهم لما فسروا الفطرة الواردة في الحديث بالإسلام لم يقصدوا أن الولد يولد عالما بأحكام الدين من التوحيد وغيره، وإنما قصدوا أن الفطرة تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وتوحيده وذلك من غير سبب خارجي.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلما"[2].

ويزيد هذا وضوحا تقرير ابن القيم لهذه المسألة حيث قال: "ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل: ولد على الإسلام فليس المراد به أنه حين

تيمية (٢/ ٣٣٧)، شفاء العليل (٢/ ٧٧٥ـ٨٣٦)، أحكام أهل للذمة (٢/ ٥٢٣ـ٦١٦)، الروح كلها لابن القيم (ص٢٦١)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٨ـ٢٤٩).

(١) درء التعارض (٨/ ٤١٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٤٧)، وانظر: درء التعارض (٨/ ٣٨٣، ٤٥٤).

خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإن الله يقول: ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا﴾[١]، ولكن فطرته موجبة ومقتضية لدين الإسلام لمعرفته ومحبته ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض"[٢].

فالسلف قد بينوا دلالة الفطرة على مباحث العقيدة وهي كثيرة مبثوثة في كتبهم، كالإيمان بوجود الله ، وإثبات علوه على خلقه إلى غير ذلك من المسائل التي سيأتي التنبيه عليها.

ومما قاله أهل العلم في باب توارد الأدلة على سبيل الإجمال ما سطره الإمام ابن القيم في ذلك قائلا: "إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها لا تقبل سوى الحق ولا تؤثر عليه غيره لو تركت، وأيدها بعقول تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها ما هو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملا، فالفطرة قابلة والعقل مزك والشرع مبصر مفصل لما في الفطرة، ... فاتفقت فطرة الله المستقيمة والعقل الصريح والوحي المبصر المكمل على الإقرار بموجود فطر هذا العالم بجميع ما فيه عاليه وسافله وما بينهما"[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٢) شفاء العليل (٢/ ٧٨٩)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧ـ١٢٧٨).

فما ركز في الفطر من معرفة الله ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه فإنما يعرف ذلك ويشعر به مجملا، ثم جاءت الرسل تذكرها بذلك، وتنبهها عليه، تفصله لها، وتبينه[١].

(١) انظر: شفاء العليل (٢/ ٨٢١).

الفصل الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ.

المبحث الثاني: رد التنازع إلى الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: دلالة نصوص الكتاب والسنة.

إن أهم ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم في معرفة الحق والعمل به أنهم يعتصمون بالكتاب والسنة في كل أمور الدين، ويرون أن في النصوص غنية عما أحدثه المحدثون من أهل التصوف والكلام، ويجعلون قدوتهم فيما يقومون به نبينا محمد ﷺ، ولا يسلمون إلا للنصوص، ولا يعارضونها بالعقل، بل يؤمنون بمتشابه النصوص، ويتبعون محكمه، ويقولون: ﴿كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب﴾.

وفيما يأتي من المباحث تفصيل لما أجمل هاهنا.

المبحث الأول: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ .

إن الإيمان بالله تعالى يوجب على العبد طاعته في كل ما أمر به والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وهذا المنهج هو الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وأتباعهم من خير هذه الأمة وأئمتها، حيث إن الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي للحق، وهو الميزان الصحيح الذي توزن به الأقوال والأفعال، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحث على اتباعهما وتوجب الاعتصام بهما، والأدلة على ذلك كثيرة جدا أقتصر فيما يلي على أهمها.

المطلب الأول: الأدلة من الكتاب على وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ .

جاءت الآيات الكثيرة فيها الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ ، ومن ذلك :

١ـ قال تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[1].

٢ـ وقال تعالى: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآيتان ١٣،١٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآيات ٦٦-٦٨.

٣ـ وقال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[١].

٤ـ وقال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[٢].

٥ـ وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[٣].

٦ـ وقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾[٤].

٧ـ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾[٥].

إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ابن تيمية: "وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه"[٦].

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

(٥) سورة محمد: الآية ٣٣.

(٦) الفتاوى (١٩/١٠٣).

المطلب الثاني: الأدلة من السنة على وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

وكذلك جاء في السنة ما يبين هذا الأصل العظيم، في أحاديث كثيرة ، وأكد عليه النبي ﷺ أيما تأكيد ومن ذلك:

١ـ عن أبي هريرة مرفوعا: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[(١)].

٢ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله)[(٢)].

٣ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ١٣/ ٢٤٩، رقم: ٧٢٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، ١٣/ ١١١، رقم: ٧١٣٧، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ٣/ ١٤٦٦، رقم: ١٨٣٥.

فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[١].

٤ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فقال: يا أيها الناس: إني تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنتي)[٢].

٥ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، (١٣/ ٢٥٠)، رقم: ٧٢٨٣، ومسلم في كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، (٤/ ١٧٨٨)، رقم: ٢٢٨٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٧.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٧.

المطلب الثالث: أقوال السلف في وجوب اتباع الكتاب والسنة.

ورد عن جمع من السلف في الحث على اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع آثار كثيرة ومن ذلك:

- عن ابن عباس - لما سأله أحدهم: أوصني - قال: (عليك بالاستقامة واتباع الأثر، وإياك والتبدع)[١].

- وعن الزهري[٢] رحمه الله قال: (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة)[٣].

- وعن عمر بن عبد العزيز يقول: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من اهتدى بها مهتدي ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم، وساءت مصيرا"[٤].

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/ ٥٣)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٢)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٧-٣٣٩)، رقم: ٢٠٠-٢٠٦.

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، القرشي المدني، الإمام العلم المقدم في الحديث، أحد أعلام التابعين، مات سنة ١٢٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٤٥)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣١٩، رقم: ١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ١٣٦، ١٣٧).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (رقم: ٣٤)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٢-٣٥٣ رقم: ٢٣٠).

إلى غير ذلك من الآثار التي وردت عن السلف في هذا الشأن.

وهذا الأصل قد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا عظم هذا الأصل: "وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة ، وترجم عليه أهل العلم في الكتب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين"[1].

ويصف شيخ الإسلام ابن تيمية سلف هذه الأمة في بيان منهجهم في التلقي والاستدلال: "وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"[2].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٦٢٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٨)، وانظر: (١٦/ ٤٧١-٤٧٢).

المبحث الثاني: رد التنازع إلى الكتاب والسنة.

كما أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله أوجب الله تعالى على عباده أن يردوا كل ما تنازعوا فيه إلى الكتاب السنة .

ومعنى الرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته، وإل سنته بعد موته[١]، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ـ قال جل من قائل: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[٢].

قال القرطبي ـ عند كلامه على الرد إلى الله ورسوله ﷺ ـ: "أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى سنة رسوله ﷺ بالسؤال في حياته أو بالنظر في سنته بعد وفاته ﷺ ، هذا قول مجاهد، والأعمش، وقتادة وهو الصحيح"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام على هذه الآية والتي بعدها: "وفي هذه الآيات أنواع من العبر الدالة على ضلال من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة ، وعلى نفاقه، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات، من الأمور المأخوذة عن

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٣٥).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦١).

بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار"[1].

٢ـ و قال الله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[2].

ففي الآية جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ من لوازم الإيمان[3].

٣ـ وقال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[4].

٤ـ وقال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾[5].

قال ابن كثير ـ عند قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء﴾ ـ : "وهذا أمر من الله بأن كل شيء تنازع فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٨).

(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٣) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٤) سورة النور: الآية ٦٣.

(٥) سورة الشورى ، الآية ١٠.

إلى الكتاب والسنة ، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله واليوم الآخر"[1].

وبين رحمه أن ما وقع بين العباد من اختلاف فعليهم أن يردوه إلى الله وهو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ [2].

وقد جاء في السنة أيضا ما يوضح هذه الحقيقة قال النبي ﷺ : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[3] .

وقال النبي ﷺ: (يا أيها الناس: إني تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنتي)[4].

وقد جاء عن السلف الصالح وقائع عدة تدل على هذا الأصل العظيم، ومن ذلك :

- ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: (سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت

(١) تفسير ابن كثير (١/٥١٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤/١٠٨).

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ٨٧.

ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[1].

- ما جاء عن أبي بكر ﵁ عند موت النبي ﷺ حيث قال: (ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[2]، وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾[3])[4].

- وكذلك ما جاء في مناظرات أهل العلم لأهل الأهواء، فقد سجل السلف أروع المثل في صدقهم مع الله تعالى وتمسكهم بالكتاب والسنة، وأن الله تعالى إنما نصرهم وخذل أعداءهم بتمسكهم بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومات بين المسلمين واليهود، (٥/ ٧٠)، رقم: ٢٤١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذا خليلا)، (٧/ ١٩-٢٠)، رقم: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨.

فهذا الإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله[1]، لما ناظر بشر المريسي الضال بين يدي الخليفة المأمون في مسألة خلق القرآن التي ابتدعها المعتزلة الجهمية، فاحتج عليهم الإمام عبد العزيز الكناني بالكتاب والسنة.

واستشهد للأصل الذي يرجع إليه عند الاختلاف بقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[2][3].

(١) هو عبد العزيز الكناني، أبو الحسن، المكي، الإمام، علم أهل السنة، جرت له المناظرة المشهورة مع بشر المريسي فقطعه وأظهر الله عليه، وهو صاحب كتاب الحيدة، توفي سنة ٢٤٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٤٤٩)، شذرات الذهب (٢/ ٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) انظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن للإمام عبد العزيز الكناني (ص٣٢،٤٢).

المبحث الثالث: دلالة نصوص الكتاب والسنة.

إن السلف رضوان الله عليهم قد نبهوا على تنوع دلالة الكتاب والسنة مما هو يدخل ضمن الاعتصام بالنصوص الشرعية، حيث يرون أن منها ما دلالته شرعية ومنها ما يكون دلالته عقلية، وهذا ما أغفله كثير من المتكلمين الذين يتكلمون بما لا يعلمون، حيث إنهم ظنوا أن أدلة الكتاب والسنة مجرد أخبار، ليست لها دلالة عقلية، فراحوا يطلبون في المنطق الأرسطي[1] والفلسفي[2] ما يسد لهم هذه الثغرة زعموا، ولو أنهم تمسكوا بدلائل الكتاب والسنة وفهموا النصوص الشرعية كما فهمها السلف لكانوا في غنى عما ابتدعوه وأضلوا به أنفسهم وغيرهم من اتباع المعقولات التي هي مخالفة للدلائل السمعية.

---

(١) المنطق : هو النظر في الأدلة والمقاييس العقلية وشروط مقدمات البرهان ، وكيفية تركيبها ، وشروط الحد وكيفية ترتيبها.

انظر: المنقذ من الضلال للغزالي (ص١٤)، ونقض المنطق (ص١١٥).

والمنطق الأرسطي هو العلم بنظريات أرسطو.

وأما أرسطو: فهو فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون ، وكان يلقي الدروس ماشيا، فسمي هو وأتباعه المشاؤون، مات قبل الميلاد بـ ٢٢٢ سنة، انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/ ١١٧).

(٢) الفلسفة: لفظة مأخوذة من لغة اليونان، وهي مركب من مقطعين "فيلو" ومعناها محب، و"سوفيا" ومعناها الحكمة، فمعنى مجموع التركيب : محبة الحكمة.

انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ١٦٠)، وعن مذاهب الفلاسفة راجع: الملل والنحل (٢/ ٥٨).

فالحاصل أن دلالة النصوص الشرعية ليست مجـرد الإخبـار كمـا يظنه المتكلمون[1] والفلاسفة، بل إن الله تعالى ضمن فيما أخبر به عـن نفسه وأسمائه وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة التي هـي الأمثـال المضروبات ما بين ثبوت المخبر بالعقل الصريح[2].

وما قرره السلف في هذا الباب يـدل عليـه إجمـالا قـول الله جـل وعلا: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[3].

قال شيخ الإسـلام ابـن تيميـة موضحـا هـذه الحقيقـة: "الكتـاب والسنة يدلان بالإخبار تارة ، والتنبيه تارة، والإرشـاد والبيـان للأدلـة العقلية تارة، وخلاصة ما عند أرباب النظـر العقلـي في الإلهيـات مـن الأدلة اليقينية والمعارف الإلاهيـة، قـد جـاء بـه الكتـاب والسـنة، مـع زيادات وتكميلات لم يهتد إليها إلا من هداه الله بخطابـه، فكـان فيمـا جاء به الرسول من الأدلة العقلية والمعارف اليقينية فوق مـا في عقـول جميع العقلاء من الأولين والآخرين"[4].

---

(١) المتكلمون: نسبة إلى علـم الكـلام، قـال التفتـازاني في تعريفـه: الكـلام هـو العلـم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية ، شرح المقاصد (١/ ١٦٣).

وانظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٤ـ٥)، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٣٠).

(٢) انظـر: بيـان تلبيـس الجهميـة (١/ ٢٤٦ـ٢٤٧)، درء التعـارض (٨/ ٣٥٤)، مجمـوع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٨)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠).

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

(٤) منهاج السنة (٢/ ١١٠)، وانظر: درء التعارض (٧/ ٢٨٩)، مجموعة الرسـائل لابـن تيمية (٢/ ١٩٥ـ١٩٦).

وقال أيضا: "الأدلة العقلية والسمعية متلازمة، كل منهما مستلزم صحة الآخر، فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به، والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله ، وتوحيده، وصفاته، وصدق أنبيائه، ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي، والعقليات لا تتضمن السمعي، ثم افترقوا: فمنهم من رجح السمعيات وطعن في العقليات، ومنهم من عكس، وكلا الطائفتين مقصر في المعرفة بحقائق الأدلة السمعية والعقلية"[1].

ويزيد ابن القيم هذا المعنى وضوحا بقوله: " الأدلة السمعية نوعان:

نوع دل بطريق التنبيه والإرشاد على الدليل العقلي، فهو عقلي سمعي، ومن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد...

وهو أصل للنوع الثاني الدال بمجرد الخبر.

فالقدح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة"[2].

ولزيادة في توضيح هذا الأصل يحسن ذكر نماذج من الدلالات الشرعية العقلية على مسائل من أصول الاعتقاد.

مطلب: نماذج من الدلائل الشرعية العقلية على مسائل الاعتقاد.

الذي عليه سلف الأمة أن نصوص الكتاب والسنة فيها غنية لكل مؤمن فيما يتعلق بأمور دينه في الاعتقاد أو العبادات القولية والفعلية

---

(١) درأ تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤)، وانظر: (١/ ٢٨، ٧/ ٣٥٢)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٢٩٦،٣٣١، ٣٣٢).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٠٨-٩٠٩)، وانظر: (٢/ ٧٩٣-٧٩٤).

والمعاملات، فهو مشتمل على الدين كله كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[١].

ومن هذا الباب ما ذكره أهل العلم من الدلائل الشرعية العقلية التي تدل على مسائل الاعتقاد، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشارع قد نبه على الدلالة العقلية في كل ما يمكن علمه بالعقل، كما حصل ذلك في مسائل أصول الدين الكبار[٢].

ومن ذلك معرفة ربوبية الله على خلقه وأن ذلك يكون بالتأمل في دلائل الله الكونية والشرعية، وخاطب عباده بالأمر بالتفكر فيها، لما في ذلك من إثبات ربوبية الله تعالى، وأنه هو الذي يستحق العبادة دون ما سواه من المعبودات الباطلة.

أولا: الأمر بالتأمل والتفكر في آيات الله تعالى.

لقد دعا القرآن الكريم العباد في عدة آيات إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٣٠ـ٢٣١).

(٣) سورة يونس، الآية ١٠١.

(٤) سورة الذاريات، الآيتان ٢٠،٢١.

شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾[1].

والمقصود بالنظر، هو النظر فيما بعث به الرسول من الآيات والهدى ، لا ما يدعيه المتكلمون[2].

ومنهج السلف في هذا واضح، فهم يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة التي بعث الله بها رسوله، وتدبر القرآن وما فيه من البيان[3].

ومن هذا ما ذكره ابن كثير في تفسير الآيات السابقة من أن الله تعالى يرشد عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، وأنها بتسخير القدير الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه[4].

وقال ابن سعدي في تقرير هذا : "يقول تعالى داعيا عباده إلى التفكر والاعتبار : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾، وذلك شامل لنفس الأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات تدل المتفكر فيها المتأمل لمعانيها على عظمة خالقها، وسعة سلطانه وعميم إحسانه، وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن، وكذلك في نفس العبد من العبر

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٩٠)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/ ١٣).

(٣) انظر: النبوات (١/ ٢٩١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٩)، وراجع : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٦٦٥).

والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد ، وأنه لم يخلق الخلق سواه"[1].

وليس المقصود بالتفكر مجرد الصمت عن الكلام، بل بين أهل العلم أهميته، وحقيقته؛

- فالتفكر والنظر والاعتبار وغير ذلك من المعاني المتقاربة، توقع صاحبه من الإيمان ما لا يوقعه العمل بمجرده، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه[2].

- وأما عن حقيقته فإن الإمام ابن القيم قد بين ذلك، قال رحمه الله : "إذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه، وبوحدانيته وصفات كماله، ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه ورضاه ، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته"[3].

ومن أهم مجالات النظر والتفكر عند السلف التأمل في القرآن الكريم، لاستخراج كنوزه وعلومه، ويتجلى ذلك في أمور كثيرة أقتصر هنا على بعض ما يتعلق بهذا المبحث، ومن ذلك:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٠٩).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٥٤٠، ٥٤٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥).

- التأمل في الأمثال المضروبة في النصوص الشرعية.

- التفكر في المخلوقات.

- تذكر الآخرة، وما بعد الموت.

- الاعتبار بإهلاك الله للأمم الغابرة[1].

ثانيا: تنوع دلائل معرفة الله تعالى:

إن ما يجده المرء في نفسه من آثار الصنعة ودلائل الحكمة ليشهد لكل ذي عقل على وجود الله تعالى، وربوبيته لخلقه، وأنه الموصوف بصفات الكمال من الحكمة والعلم، والقدرة وغيرها، وأنه المستحق لصفات الكمال.

ومن ذلك:

١ـ الاعتبار بدلالة الأنفس:

مما وضحه أهل العلم في هذا الباب أن طريق الاستدلال بخلق الإنسان هو من أحسن الطرق في الاستدلال على الخالق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا هذه الأهمية: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وشرعية دل القرآن عليها"[2].

---

(١) انظر: التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة لعبد الله اللحيدان، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ٦٦، ص ١٤٥ـ١٦٢.

(٢) النبوات (١/ ٢٩٢).

بل دعا القرآن الكريم إلى تدبر هذا المسلك والنظر فيه، وهدى الناس وأرشدهم إليه، قال الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1][2].

ومن النصوص القرآنية التي فصلت في خلق الإنسان داعية إلى التدبر فيه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾[3].

فإذا فكر المرء في نفسه رآها مدبرة وعلى أحوال شتى مصرفة، فإنه بدأ من كونه نطفة ثم علقة ثم صار مضغة، فعظاما ولحما، وهو أيضا يرى نفسه شابا، فكهلا، ثم يصير شيخا، فلم يفعل ذلك كله لنفسه، ولا في وسعه الرجوع إلى الشباب حالة كونه في المشيب، فيعلم بهذا أن له خالقا حكيما قادرا على كل شيء[4].

ومما أشاد القرآن الكريم به في هذا الباب ما ذكره الله تعالى من حسن خلق الإنسان حيث قال جل وعلا: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في

(١) سورة الذاريات، الآية ٢١.

(٢) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٥٤).

(٣) سورة غافر، الآية ٦٧.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٧٨)، منهج القرآن في الدعوة إلى الله للشيخ علي بن محمد ناصر الفقيهي (ص٦٩ـ٧٠).

أحسن تقويم﴾[1]، فإن العبد إذا نظر إلى جوارحه والأعضاء المعدة للأفعال التي هي خاصة به، علم أن هناك من اجتباه وأحسن خلقته وأحسن فطرته، وأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، وتيقن بوجود رب خالق عليم قدير، فيزداد إيمانا بالله تعالى وتصديقا بكتابه ، وبما أخبرت به رسله.

وقد سلك أهل العلم رضوان الله عليهم طريقة القرآن الكريم في الاستدلال بآيات في خلق الإنسان على وجود الله وربوبيته ، ومن هؤلاء :

قول أبي الشيخ الأصبهاني[2]؛ حيث بين أن دليل خلق الإنسان من أعظم الآيات الدالة على ربوبية الله ووحدانيته[3].

ومن أولئك الأعلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال ـ في سياقه لتقرير هذا المسلك ـ :"وأما هنا فالمقصود ذكر ما يدل على الخالق تعالى ابتداء فذكر أنه خلق الإنسان من علقة وهو من العلقة، ثم يصير مضغة، وهو قطعة لحم، ثم تخلق فتصور...فهذا الدليل ـ وهو خلق الإنسان من علقة ـ يشترك فيه جميع الناس، فإن

(١) سورة التين، الآية ٤.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، المشهور بأبي الشيخ الأصبهاني، الإمام، الحافظ ، وله من المصنفات طبقات المحدثين بأصبهان، توفي سنة ٣٦٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦ـ٢٨٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٤٥).

(٣) انظر: العظمة (١/ ٢٧١ـ٢٨٧).

الناس هم المستدلون وهم أنفسهم الدليل، والبرهان، والآية كما قال تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1][2].

ومن هؤلاء ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد تحدث عن دلالة القرآن الكريم وأنه دعا الإنسان إلى التفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، ولو فكر المرء في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفرها، قال تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره﴾[3][4].

وكلام السلف في توضيح منهج القرآن الكريم في الاستدلال بخلق الإنسان على فاطره وخالقه كثير مشهور، وإنما آثرت الاقتصار على من ذكرت للاختصار.

٢ـ اعتبار دلالة الآفاق.

يعتبر هذا المسلك من الدلائل البديعة التي عرضها القرآن الكريم بالأساليب المختلفة والطرق المتعددة شاملا في ذلك لجميع المخلوقات، وهي آيات واضحات جعلها الله نبراسا وطريقا لعباده في معرفة الخالق وربوبيته، ودليلا على تفرده بالخلق والتدبير، وأنه المستحق للعبادة وحده.

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٢١.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٢٦٢).

(٣) سورة عبس، الآية ١٧ـ١٩.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٥ـ٢٨).

ومن أعظم الآيات التي يتجلى فيها هذا الإبداع خلق السموات والأرض، فقد بين سبحانه في عدة مواطن من كتابه إحكامها وإتقانها، وأنها آية من الآيات العظمى التي يستدل بها على عظمة الله تعالى، وحسن صنعه، فيدعو العبد إلى تحقيق العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1][2].

وقال تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[3].

وقد ذكر الطبري أن الله تعالى نبه بهذه الآية على وحدانيته وتفرده بالألوهية دون كل ما سواه من الأشياء بهذه المخلوقات، وأنها أيضا دالة على وجود الله وربوبيته بطريق الأولى[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠ـ١٩١.

(٢) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص٤٦ـ٦٧).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٤

(٤) انظر: جامع البيان (٢/ ٦٢، ٦٥ـ٦٦). وراجع: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧ـ١٩٨).

وقد سلك أهل العلم في الاستدلال على الخالق طريق النظر في عجائب المخلوقات؛ ومن هؤلاء الأعلام:

الخطابي[1]؛ فقد قال رحمه الله في تقرير هذا الدليل: "إنك إذا تأملت هيئة العالم ببصرك، واعتبرت بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، ....، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام ، وأن له صانعا حليما تام القدرة بالغ الحكمة"[2].

كما أنك تجد الإمام ابن منده، وتبعه عليه قوام السنة الأصبهاني[3]، ممن توسع في نهج ما قرره القرآن الكريم في الاستدلال بالخلق على الخالق[4].

---

(١) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن الخطاب، أبو سليمان ، الخطابي، البستي الشافعي، العالم الورع المحدث، له من المصنفات معالم السنن، مات سنة ٣٨٨ هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤ـ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣ـ٢٨).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ١٨٠).

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر، أبو القاسم، القرشي، التيمي، الأصبهاني، الشهير بقوام السنة، له كتاب الترغيب والترهيب، ودلائل النبوة وغيرهما، مات سنة ٥٣٥ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠ـ٨٨)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٧٧).

(٤) انظر: التوحيد لابن منده (١/ ٩٧ـ١١٥)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤١٦ـ٤٢١).

وقد اعتنى ابن القيم بهذا الطريق وأفاض في ذكر الآيات الباهرة والمخلوقات العظيمة، وذكر منها: خلق السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والهواء، والحيوان والثمار والفواكه وغيرها، وأنها شاهدة بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وأنه المستحق للعبادة[١].

ومن هؤلاء أيضا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى[٢]، قال رحمه الله تعالى: "وإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ "[٣].

وبالجملة فإن هذه المخلوقات العظيمة منها والدقيقة من تأمل في عجائب خلقها، وما أودع فيها من الحكم، ليدرك كل عاقل منصف

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٣١-١٧٣).

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، الإمام، العالم، المجدد، ناصر السنة، وقامع البدعة، له من المصنفات كتاب التوحيد ، وأصول الإيمان، وكشف الشبهات، توفي سنة ١٢٠٦ هـ.

انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/ ١٨٠)، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي لفضيلة الشيخ صالح بن عبد الله العبود (١/ ١١٧-٢٥٣) .

(٣) الأصول الثلاثة - مع حاشية ابن قاسم - (ص٢٩-٣١).

أنها من رب العالمين، وأن فطرته تشهد به وتقر بوحدانية الله تعالى وأنه هو المستحق للعبادة.

ومما يبين أهمية دلالة الآفاق ما أشار إليه ابن القيم من أن آيات الله الكبرى المنثورة في ملكوت السموات والأرض كلها تشهد على ربوبيته تعالى وألوهيته، وأنها شواهد حكمته وآيات قدرته، فلا يستطيع العقل أن يردها ولا أن يجحدها إلا أن تكون المكابرة باللسان، فأما من له في كل شيء محسوس أو معقول آية بل آيات مؤدية عنه فإنه سيقر بأن الله الذي لا إله إلا هو هو رب العالمين[1].

فهذا كلام أهل العلم فيما يتعلق بدليل الخلق من حيث النظر إلى مدلوله الحسي، وبالمشاهدة، وأما النظر من جهة حدوثه عقلا، فهذا ما سأتعرض له في سالآتي.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٢).

٣ـ اعتبار دلالة العقل.

إن الاعتبار والتفكر في آيات الله وفيما جعله الله في هذا الكون من النظام البديع والدقة المتناهية، وما يشاهده الإنسان من تغير الأشياء الموجودة، فينعدم بعضه ويحدث غيرها، فإن العاقل يدرك وجود خالق لهذه الأشياء مدبر لها ومنظم.

وكذلك إذا نظر إلى نفسه وأنه حادث بعد عدمه، مع إقراره فطرة بأن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدث، فإنه يوقن أيضا برب عليم قادر على كل شيء، متصف بصفات الكمال.

ونصوص الكتاب والسنة جاءت واضحة جلية عند الناس أجمعين، وهي كافية في معرفة الله جملة وتفصيلا، ومن المسالك التي نهجها أهل العلم مما نبه عليها القرآن الكريم الكريم ألا وهي الدلالة العقلية التي يخضع لها كل عاقل منصف، ولا ينكرها إلا مكابر أو مختل العقل.

قال الله جل وعلا مقررا هذه الحقيقة : ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[(١)][(٢)].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وجه الاستدلال من الآية فقال : "وذلك أن هذا تقسيم حاصر ذكره الله بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها ، يقول: ﴿أم خلقوا

(١) سورة الطور، الآية ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٥٧ـ٣٥٩)، وانظر: درء التعارض (٣/ ٩٨).

من غير شيء ﴾ أي من غير خالق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم؟ وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل، فتعين أن لهم خالقا خلقهم"[1].

ويوضح هذا قوله: "إذ كان كل من القسمين : وهو كونهم خلقوا أنفسهم من غير خالق، وكونهم خلقوا أنفسهم معلوم الانتفاء بالضرورة فإن الإنسان يعلم بالضرورة أنه لم يحدث من غير محدث، وأن محدثه ليس هو إياه علما ضروريا ، ثبت بالضرورة أن له محدثا خالقا غيره"[2].

من خلال ما سبق من كلام شيخ الإسلام يتبين أن ما يشهد الناس من الحوادث في الكون آيات دالة على الفاعل المحدث، وعلى الخالق أيضا من حيث يعلم أنه لا يحدثها إلا هو، وأن كل حادث يدل على الخالق جل وعلا.

ومن جهة الأخرى فإن النظر في خلق الإنسان وأنه حادث بعد أن لم يكن، ومولود ومخلوق من نطفة ثم من علقة، فإن هذا يعلمه الناس بعقولهم، ويدركون به أن خالقهم وفاطرهم هو الله سبحانه وتعالى[3].

وقد قرر السلف هذه الدلالة في مناظراتهم وغيرها من المسائل ومن ذلك:

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٥٩)، وانظر: (٢/ ١١).

(٢) درء التعارض (٣/ ١١٣)، وانظر: (٣/ ١٢٤)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٤٤)، التدمرية (ص٢٠).

(٣) انظر: درء التعارض (٣/ ١٢٤)، النبوات (١/ ٢٩٢-٢٩٣).

١ـ ما جاء عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قد دحض شبهة المنكرين لوجود الله بضرب المثل المتضمن المسلك العقلي، الذي يقطع كل منكر مكابر.

فإنه ورد أن طائفة من الملاحدة قال له: ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب ، قالوا: ما هو ؟

قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: أمجنون أنت؟

قال: وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدقه عاقل؟

فقال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة وهذا الفلك الدوار السيار يجري وتحدث هذه الحوادث بغير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا إلى أنفسهم بالملام[1].

(١) انظر: درء التعارض (٣/ ١٢٦ـ١٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٩٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥ـ٣٦)، شرح الفقه الأكبر لعلي بن سلطان القاري (ص١٤).

٢ـ وقد ذكر الإمام عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله تعالى[١] نحو هذا، حيث نص على أن هذا الطريق شرعي عقلي، يشهد له العقل ويزداد به يقينا، وذلك في كلامه على قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾، فذكر فيه نحو ما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

وبعد عرض أقوال العلماء الذين استغنوا بالنصوص الشرعية عن المناهج المحدثة يتبين أن طريقهم هو طريق القرآن الذي خوطب به العقل، وأنه يهديه إلى خالقه وبارئه بأقرب الطرق وأيسرها، متسم بسهولة الفهم والنفع الأعظم، وأنه قاطع للشكوك والشبه، وملزم للمعاند والجاحد[٣].

والسلف إذ يقررون هذا المسلك يدركون مخاطر ومفاسد الطرق الكلامية، ممن يستدل على وجود الله تعالى بأن الخلق والحدوث لا يعرف إلا بالاستدلال على حدوث الأعراض أولا، ثم ملازمتها

---

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، أبو عبد الله، الشهير بابن سعدي، العلامة، الفقيه، الأصولي، الورع الزاهد، من مصنفاته البديعة توضيح الكافية الشافية، تيسير الكريم الرحمن وغيرهما، مات سنة ١٣٧٦ هـ.
انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي (١/ ٢١٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ البسام (٣/ ٢١٨)، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لفضيلة الشيخ عبد الرزاق العباد (ص١١ـ٦٢).

(٢) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لابن سعدي (ص٢٥٨)، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص٧٣ـ٨٥).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠).

للجواهر ثانيا، ثم القول بأن الجواهر لما لازمت الأعراض وهي حادثة كانت حادثة أيضا، وهذا مسلك المتكلمين وغيرهم ممن لجأ إلى هذه الطريقة، والتزموا في ذلك مقدمات طويلة ومعقدة أوقعتهم في الاضطراب والحيرة[1].

ومن أحسن ما وصف به أهل العلم طريقة المتكلمين والفلاسفة وغيرهم أنها لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل[2][3].

ومن أحسن المقال في هذا المقام، ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "هذا وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نورا أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب، وليست في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جدا، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر.

ثم قال: فأي دليل على الله أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه كقوله تعالى: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾[4]، وقوله:

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٢٦٨)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٥٤)، درء التعارض (٩/ ٦٦)، الإمام ابن تيمية للجليند (ص٢٨٤).

(٢) انظر لهذا الوصف: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٢٢، ٧/ ٥٨٧)، الصواعق المرسلة (١/ ٣٣٥)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٨).

(٣) انظر للتوسع في المسألة: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٧-٤٨،٢/ ٩-١٤، ١٦/ ٢٦٧- ٢٦٨، ١٧٢-٢٧٢) درء التعارض (٧/ ٢١٩،٢٣٥،٣٠٩،٨/ ٤٦، ٩/ ٦٦)، الصفدية (١/ ٢٧٥)، شرح الأصفهانية (١/ ٢٦١).

(٤) سورة إبراهيم، الآية ١٠.

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾[2]، وقوله: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ الآية[3]،وقوله: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾[4]... إلى أضعاف أضعاف ذلك من الآيات، وما ذكر في السور من الأدلة التي هي للبصائر كالشمس للأبصار، فأبى المتكلمون إلا دليل الجواهر والأعراض، والحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، ولعمر الله لم يزل إيمان الخلق صحيحا حتى حدثت هذه الأدلة المبتدعة الباطلة فأوقعت الأمة في العناء الطويل.

ثم قال: فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته والإقرار به بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء، واشتقوا

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

(٤) سورة النمل الآيات ٥٩-٦٤.

طريقا موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وقالوا للناس: لا يتم إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق، فلما سلكها من سلكها أدت به إلى ما أسره الحيرة والشك والتأويل والتجهيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"[1].

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١١٩٩-١٢٠٦) ـ مع شيء من التصرف ـ.

الفصل الثاني: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله.

المبحث الثاني: الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: التسليم للنصوص عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول: اشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله.

يعد هذا المبحث تتمة لما سبق الكلام عليه في المباحث السابقة، وذلك أن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الكتاب والسنة هما العمدة في معرفة الدين أصوله وفروعه، دلائله ومسائله، فالقرآن والسنة عندهم إمام يؤتم به في الدين كله، وهذا هو دين المسلمين، ولا يخرج شيء من ذلك عن هذا، وكل ما سواه من المصادر مما سبقت الإشارة إليه كالإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة إنما هو تأكيد لما في الكتاب والسنة إذ العمدة عليهما دون غيرهما.

فلم يكن أحد من السلف يعارض القرآن ولا السنة بمعقوله ولا خياله، بل ينظر في أقوال الناس وآرائهم ويعرضها على الكتاب والسنة، فيقبل منها ما وافق النصوص، ويرد ما خالفها كائنا من يكون القائل بها[1].

وقد دل على هذا الأصل نصوص كثيرة جدا ومن ذلك على سبيل الإيجاز:

أولا: الأدلة من الكتاب العزيز.

وهي متنوعة أذكر طرفا منها:

١ـ قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[2].

٢ـ وقال جل وعلا: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[3].

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٧٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٨٩.

٣ـ وقال عز وجل: ﴿ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[١].

قال القرطبي ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ـ: "أي في اللوح المحفوظ فإنه اثبت فيه ما يقع من الحوادث، وقيل: أي في القرآن، أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب... فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلا وإما تأصيلا"[٢].

٤ـ وقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٣].

قال ابن كثير في تفسير الآية: "هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ ..."[٤].

وقال الشاطبي: "فكل من زعم أنه بقي في الدين شيء لم يكمل، فقد كذب بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾"[٥].

---

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٢٠).

(٣) سورة المائدة ، الآية ٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣).

(٥) الاعتصام (٢/ ٣٠٤ـ٣٠٥).

إلى غير ذلك من الآيات.

ثانيا: الأدلة من السنة.

ومن السنة أيضا أحاديث كثيرة دلت على هذا الأصل، وأن الله تعالى قد أكمل هذا الدين ببعثة النبي ﷺ وبرسالته، وأنها مهيمنة على جميع الشرائع قبله.

ومن ذلك:

١ـ قوله ﷺ: (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء)[١].

٢ـ وقال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما)[٢].

٣ـ وقال سلمان الفارسي لما قيل له: (قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة! قال: أجل..)[٣].

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم: ٥، وابن أبي عاصم في السنة، (١/ ٢٦)، وقد صححه الشيخ الألباني، في السلسلة الصحيحة رقم: ٦٨٨، وانظر: ظلال الجنة (١/ ٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٥٣ـ١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة، باب الاستطابة، (١/ ٢٢٣)، رقم: ٢٦٢.

المبحث الثاني: الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة.

الذي عليه أهل السنة والجماعة ومن اتبعهم من المسلمين الإيمان بأن الله تعالى ربهم ومليكهم وخلقهم ورازقهم، وأنه أرسل إليهم أفضل الرسل والأنبياء على الإطلاق، وأنزل معه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأن ما يصدر من النبيﷺ في تبليغ الدين حق وصدق يجب قبوله إذا صح سنده، وهذا من تمام تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، وهو الإخلاص والمتابعة.

والمتابعة للنبي ﷺ لا تتحقق إلا بطاعته فيما أمر وتصديقه بما أخبر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

فالذي عليه أهل السنة والجماعة كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكا، أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيل المرسل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ"[(١)].

الأدلة على هذا الأصل كثيرة جدا، أذكر بعضا منها :

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص١٦٠).

أولا: الأدلة من القرآن الكريم:

١ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[(١)].

فلم يكتف سبحانه في حصول الإيمان بمجرد التحكيم، بل لا بد من استصحاب الرضا والتسليم، ودفع الحرج والضيق والمنازعة[(٢)].

٢ـ وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[(٣)].

٣ـ وقال الله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[(٤)].

قال ابن القيم: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه"[(٥)].

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣).

(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) إعلام الموقعين (١/ ٤٨).

٤ـ وقال الله جل وعلا: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[١].

ثانيا: الأدلة من السنة النبوية:

هذا وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب:

١ـ منها قوله ﷺ: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)[٢].

٢ـ وقال النبي ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٥/ ١٠ـ١٢)، رقم: (٤٦٠٥)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم: (٢٦٦٥)، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ ...، (١/ ١٧)، رقم: ١٢، من حديث أبي رافع، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٧١٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٦)، وابن ماجه (١٢)، من حديث معدي كرب، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٦٤٣).

المبحث الثالث: التسليم للنصوص عند أهل السنة والجماعة.

الذي عليه سلف الأمة أن ما منهم من أحد يعرض عليه نص من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ثم ردها برأيه أو عقله أو ذوقه، أو سياسته، وهذا بالإجماع عنهم؛

قال الإمام الشافعي: "ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدا أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة... وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم ، كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة"[١].

وقال محمد بن الحسن الشيباني[٢]: "اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه..."[٣].

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي (ص٢٠،٢١).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، الإمام الفقيه الحنفي، من مصنفاته: الجامع الكبير والحجة على أهل المدينة وغيرها، مات سنة ١٨٩ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٤).

(٣) رواه عنه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

ولهذا قال الشوكاني: "إن حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك أحد إلا من لا حظ له في دين الإسلام"[١].

فالصحابة رضوان الله عليهم لم يحصل بينهم تنازع في مسائل الاعتقاد كما وقع عند المتأخرين من أهل الأهواء، بل كانوا مستسلمين للنصوص متمسكين بها ، يقول ابن القيم واصفا الرعيل الأول : "وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات ، والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها، تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا ، وأجروها على سنن واحد..."[٢].

وقد حذر السلف الصالح من مقالة إنكار السنة، فقد جاء عن الإمام أيوب السختياني يقول: "إذا حدث الرجل بسنة فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال"[٣].

---

(١) إرشاد الفحول (ص٣٣).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).

(٣) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص٣٥)، وعزاه للبيهقي.

وقد كان الشافعي رحمه الله ممن تصدى للرد على هذه المقالة فقد جاء عنه أنه قال: " قال بعض من رد الأخبار : فهل تجد حديثا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله)، فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في صغير ولا كبير، وقد روي من طريق منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء"[١].

قال الشافعي[٢]: وليس يخالف الحديث القرآن، ولكنه يبين معنى ما أراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا، ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله، فمن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل[٣].

---

(١) انظر : معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ١١٦-١١٧) ، وراجع الرسالة للشافعي (ص ٢٢٤-٢٢٥) ، والأم (٨/ ٢٤٦ - موسوعة الإمام الشافعي -) .

(٢) انظر : معرفة السنن (١/ ١١٨) .

(٣) وقد احتج بعض هؤلاء بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا: (إذا حدثتم عني حديثا تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته أو لم أقله فصدقوا به ، فإني أقول ما يعرف ، ولا ينكر ، وإذا حدثتم عني حديثا تنكرونه ولا تعرفونه ، فلا تصدقوا به ، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف).

أخرجه الإمام أحمد - كما في المنتخب من العلل لابن قدامة (رقم ٧١) - ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥/ ٣٤٧) ، وابن عدي في الكامل (١/ ١٢) ، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٠٨) ، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٩١) ، من طرق عن يحيى بن آدم به مثله.

ووقع عند الطحاوي ، وابن عدي ، والدارقطني ، والخطيب : "عن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة". والصواب أن الحديث مرسل.

وقال أبو حاتم : هذا حديث منكر ، الثقات لا يرفعونه . العلل (٢/ ٣١٠).

والحاصل في هذا الفصل أن معتمد أهل السنة والجماعة في معرفة الله تعالى وغيره على الوحي ـ وهما الكتاب والسنة ـ، وما استند عليه من الإجماع والقياس الصحيح، وما وافق ذلك من الفطرة السليمة، وهو مصدر التلقي عندهم في العلوم والمعارف، ولا يعدلون به إلى غيره.

وأما ما لم تجئ به الرسل عن الله ففيه الحق والباطل، وأما ما جاءت به الرسل عن الله فهو الحق الذي يجب اتباعه، وليس لأحد الخروج عن شيء مما دلت عليه، وهي مبنية على أصلين:

ـ أحدهما: أن هذا ما جاء به الرسول.

ـ والثاني: أن ما جاء به الرسول وجب اتباعه[1].

وقال الذهبي : حديث منكر . السير (٩/ ٥٢٤).

والحديث قال عنه ابن حجر : إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال ، وقد جمع طرقه البيهقي في كتاب المدخل . (المقاصد الحسنة ص ٣٧) .

وقال الشوكاني : وبالجملة فهذا الحديث بشواهده لم تسكن إليه نفسي مع أنه لم يكن في إسناد أحمد ولا في إسناد ابن ماجه من يتهم بالوضع ، فالله أعلم ، وإني أظن أن ابن الجوزي قد وفق للصواب بذكره في موضوعاته . (الفوائد المجموعة ص ٢٥٢) .

وقال أحمد شاكر : هذا المعني لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع أو بالغ الغاية في الضعف ، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد . (انظر : تعليقه على الرسالة ص ٢٢٤).

(١) تنبيه: إن طوائف من المنتسبين إلى الإسلام قد أحدثوا في هذا الباب أشياء، جعلتهم ينحرفون عن الوحي بقدر تمسكهم وإحداثهم لأقوال تخالف الكتاب والسنة.

فتجد طوائف قد خالفت في المقدمة الأولى، وذلك بأن قرروا طرقا للوصول للمعرفة، فاستدلوا بما يروى عن الفلاسفة الأول، وما دلت عليه الأقيسة، وتقليد آراء بعض الأئمة، وما يلقى في قلوب الناس من الإلهام، وهذا يدخل في التقليد والقياس والإلهام.

ومن الطوائف من خالفت في المقدمة الثانية، وذلك عندهم بناء:

- على نوع تقصير بالرسالة.
- أو على نوع تفضل عليها.
- أو على عين الإعراض عنها.
- أو على أنها لا تقبل إلا في شيء يتغير كالفروع مثلا دون الأصول العقلية أو السياسية، أو غير ذلك من الأمور القادحة في الإيمان بالرسالة.

وقد دخل في هذا طوائف من المتكلمة والمتفلسفة والمتأمرة والمتصوفة. انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٩/ ٥-٦).

أما الفلاسفة والمتكلمون فإنهم جعلوا أصل المعرفة العقل أو الحس، أو المجموع منهما، وأن العلم يدرك بذلك.

قال ابن تيمية: وهذه الطرق فيها فساد كثير من جهة الوسائل، والمقاصد، أما المقاصد فإن حاصلها بعد التعب الكثير والسلامة خير قليل، فهي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، ثم إنه يفوت بها من المقاصد الواجبة والمحمودة ما لا ينضبط هنا.

وأما الوسائل فإن هذه الطرق كثيرة المقدمات، ينقطع السالكون فيها كثيرا قبل الوصول، ومقدماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفية لا يدركها إلا الأذكياء. الفتاوى (٢/ ٢٢).

وأما من يعتقد عصمة غير الأنبياء من الرافضة فإنهم يستدلون بأقوال غير المعصوم في تقرير الشرع، ولا شك أن في هذا الغاية في الانحراف عن الدين، وخاصة أن كثيرا مما يروونه عن أئمتهم كذب وزور وانتحال.

بل يتمسكون بأقوال أئمتهم ولو خالفت الكتاب والسنة.انظر: الشيعة والسنة لإحسان إلاهي ظهير (ص ٦٠ فما بعدها).

وجعل بعضهم المنام وغيره طريقا إلى معرفة الحق، وهذا في غاية الفساد من حيث اعتبار ذلك أصلا للمعرفة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من الإلهام ونحوه ما هو حق وباطل[1]، وأنه إنما هو علامة على التوفيق في الأخذ بالدليل.

فأهل السنة والجماعة لا يجعلونه أصلا في الاستدلال، بل يرون أنه علامة على التوفيق في الأخذ بالدليل الذي هو الوحي، وما يبنى عليه مما تقدم ذكره.

وأما المتصوفة فإنهم جعلوا مرجع ذلك إلى رياضة النفس، وما يفيض عليها من الإلهام والكشف والوجد.

حتى إن بعضهم يرون أن الشرائع لازمة للعامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات، كما هو مذهب الباطنية الذين يرون أن للشريعة ظاهرا وباطلا. انظر: الفتاوى (٣/ ٣٠).

ولا شك أن هذا من أبطل الباطل.

(١) الفتاوى (١٩/ ٧).

الفصل الثالث: الاستدلال على أصول الاعتقاد بالمتواتر والآحاد من السنة وعدم التفريق بينهما.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المتواتر والآحاد.

المبحث الثاني: إفادة خبر الواحد.

المبحث الثالث: العمل بالأخبار الصحيحة في العقائد والأحكام.

مذهب أهل السنة والجماعة في الاستدلال الأخذ بنصوص الكتاب والسنة جميعها، فكما أنهم لا يفرقون بين الكتاب والسنة الصحيحة، كذلك لا يفرقون في الاحتجاج بين صحيح السنة المتواتر منها والآحاد، بل يرون أنها منبع الخير سواء في ذلك الأحكام أو العقائد.

وفيما يلي تقرير السلف لما ورد إجماله في هذا الفصل.

المبحث الأول: المتواتر والآحاد.

المطلب الأول: تعريف المتواتر لغة:

المتواتر لغة: من التواتر وهو التتابع، وقيل: مع فترات[1].

ثانيا: تعريف المتواتر اصطلاحا:

لأهل العلم تعاريف متفاوتة للمتواتر في الألفاظ متقاربة في المعنى، منها :

ما قاله ابن حزم: "هو ما نقلته كافة عن كافة حتى تبلغ به النبي ﷺ"[2].

وقال أبو المظفر السمعاني: "وأما المتواتر فكل خبر علم مخبره ضرورة"[3].

وقال الخطيب البغدادي: "فأما خبر التواتر فهو ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدا يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق

---

(١) انظر: القاموس المحيط (ص٦٣١).

(٢) الإحكام (١/ ١٠٠).

(٣) قواطع الأدلة (٢/ ٢٣٤).

الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم متعذر ، وأن ما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم"[1].

وقال ابن حجر: "فإذا جمع هذه الشروط الأربعة وهي عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب، ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء وكان مستند انتهائهم الحس، وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسماعه، فهذا هو المتواتر"[2].

المطلب الثاني: الآحاد.

أولا: تعريف الآحاد لغة:

الآحاد: جمع الواحد، يقال: ليس للواحد تثنية، ولا للإثنين واحد من جنسه[3].

ثانيا: تعريف الآحاد اصطلاحا.

للعلماء تعاريف عدة في تحديده مفهومه، وفيما يلي أسرد بعضها:

قال الخطيب البغدادي: "وأما خبر الآحاد فهو ما نقص عن صفة التواتر"[4].

---

(١) الكفاية (ص٢٠).

(٢) نزهة النظر (ص١٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٣٣٨).

(٤) الكفاية في علم الرواية (ص٢٠).

وقال أبو المظفر السمعاني: "ما أخبر به الواحد والعدد القليل الذي يجوز عليهم المواطأة على الكذب"[1].

وقال ابن القيم: "الأخبار المقبولة من باب الأمور الخبرية العلمية أربعة أقسام:

أحدها: متواتر لفظا ومعنى.

والثاني: أخبار متواترة معنى، وإن لم تواتر بلفظ واحد.

الثالث: أخبار مستفيضة متلقاة بالقبول بين الأمة.

الرابع: أخبار آحاد مروية بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ"[2].

(١) قواطع الأدلة (٢/ ٢٥٤).

(٢) مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٦).

المبحث الثاني: إفادة خبر الواحد .

اختلف العلماء في مسألة إفادة خبر الواحد إلى أقوال عدة:

أولا: أن خبر الواحد يفيد العلم.

حكي عن بعض أهل الظاهر ، وهو رواية عن الإمام أحمد[(١)].

ثانيا: أن خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقا.

وإليه ذهب جمع من الأصوليين كالجويني والغزالي والباقلاني وغيرهم[(٢)].

ثالثا: أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن.

وهذه القرائن قد ترجع إلى الخبر، وإلى المخبر، وقد ترجع إليهما جميعا.

ويدخل في ذلك الخبر المستفيض الذي رواه في أصله واحد، ثم استفاض واشتهر، والخبر المتلقى بالقبول عند الأمة، أو من علماء الشأن، ومنه ما رواه الشيخان، أو أحدهما ، ومنه ما كان مسلسلا بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملا به، أو تصديقا له، فهذا يفيد العلم

---

(١) انظر: الإحكام (١/ ٢٣٤)، البرهان في أصول الفقه للجويني (١/ ٦٠٦)، نهاية السول للأسنوي (٢/ ٢٦٨).

(٢) انظر: البرهان في أصول الفقه (١/ ٥٩٩)، المستصفى للغزالي (١/ ١٤٥)، التمهيد للباقلاني (ص١٦٤).

اليقيني، عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلك يكن بينهم في ذلك نزاع..."[1].

وإليه ذهب كثير من المحققين كابن الصلاح[2] وابن حجر وغيرهم[3].

قال أبو المظفر السمعاني[4]: "إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة ، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعه القدرية والمعتزلة ، وكان قصدهم منه رد الأخبار"[5].

---

(١) حكاه عنه ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٤١)، والمسودة (ص٢٤١).

(٢) هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، أبو عمرو ، ابن الصلاح، الشهرزوري، الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث وغيرهما، مات سنة ٦٤٣ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، طبقات الشافعية (٥/ ١٢٧).

(٣) انظر: النكت على ابن الصلاح (١/ ٣٧٣).

(٤) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي، المروزي، أبو المظفر السمعاني لشافعي، أحد الأعلام المشاهير، مات سنة ٤٨٩هـ.

انظر: الأنساب لابن السمعاني (٧/ ٢٢٢)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٣٣٥).

(٥) انظر: صون المنطق للسيوطي (ص١٦٠).

المبحث الثالث: العمل بالأخبار الصحيحة في العقائد والأحكام.

أجمع السلف وأهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع وشرذمة لا تعد خلافا[1].

وقال ابن عبد البر[2]: "وكلهم - أي أهل الفقه والأثر - يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعا ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة"[3].

ويعضد هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات"[4].

وقال ابن القيم - رادا على من يزعم التفريق في الاستدلال من أهل الأهواء - : "وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات.. لم تزل الصحابة والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر والأسماء

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ٢).

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، أبو عمر، النمري، القرطبي، حافظ المغرب والأندلس، أحد الأئمة الأعلام في عصره، مات سنة ٤٦٣ هـ.

انظر: الصلة (ص٦٧٧)، بغية الملتمس (ص٤٨٩)، الديباج المذهب (٢/ ٣٦٧).

(٣) التمهيد (١/ ٨).

(٤) المسودة (ص٢٤٨). وانظر: المذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص١٠٤-١٠٥).

والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته فأين سلف المفرقين بين البابين؟؟"[1].

ويكفي في رد فرية التفريق بين النصوص ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ في إرسال الرسل والدعاة آحادا إلى أطراف البلاد وإلى ملوك الفرس والروم وغيرهم ليبلغوا دعوة الله تعالى، وكان أول ما يبدءون به معهم دعوتهم إلى التوحيد، وترسيخ العقيدة، ومن ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن[2]: (إنك تقدم قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)، وفي رواية: (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله...)[3].

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٤١٢).

(٢) **اليمن**: الإقليم المعروف ويشتمل على تهامة وعلى نجد اليمن، فأهل تهامة ميقاتهم يلملم وأهل نجد اليمن قرن المنازل. واليوم هي الجمهورية التي تحد السعودية من الجنوب. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، ٣/٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله (١٣/ ٣٤٧)، رقم: ٧٣٧٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين ...، (١/ ٥٠)، رقم: ١٩.

الفصل الرابع: دلالة الإجماع والعقل الصحيح والفطرة السليمة على أصول الاعتقاد.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الإجماع على مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: دلالة العقل الصحيح على مسائل الاعتقاد.

المبحث الثالث: دلائل الفطرة السليمة على سائل الاعتقاد.

الذي عليه أهل السنة والجماعة الاستغناء بنصوص الكتاب والسنة في كل ما يحتاجه المؤمن في حياته، وأنها شاملة لكل زمان ومكان، وأنها شاملة أيضا لجميع أمور دينه، فما من حق إلا والنبي ﷺ قد بينه لنا، وما من شر إلا وقد حذرنا منه ﷺ، وأما المصادر الثانوية الأخرى إنما جاءت لتعضيد ما في الكتاب والسنة:

فالإجماع؛ في الحقيقة يرجع إليهما في مستنده.

والعقل الصحيح، وهو لا يخالف النقل الصريح.

والفطرة السليمة؛ قد جاء الشرع لتكميلها وتفصيل الحق الذي جبلت النفوس عليه.

المبحث الأول: دلالة الإجماع على مسائل الاعتقاد.

المقصود من بيان أن الإجماع يدخل في أبواب الاعتقاد لتعضيد الأدلة وتقويتها، ودفع احتمال الخطأ الذي قد يتطرق لبعض الأدلة، وقد حكى الإجماع ابن حزم في مراتب الإجماع ، وقد وافقه ابن تيمية على ذلك وإن كان خالفه في بعض أفراد تلك المسائل التي ادعى فيها الإجماع[1].

فالإجماع عند السلف قد اعتبر مصدرا من مصادر التشريع إلى جانب الكتاب والسنة الذين يمثلان المنبع الأصلي لكل مسألة، سواء في ذلك مسائل الاعتقاد أو الأحكام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة... والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم - أي أهل السنة والجماعة - يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط : هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة"[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما يذكر من الإجماع على مسألة العلو وغيره ، فتجد من السلف ممن ألف في الاعتقاد يذكر قول الأئمة في مسائل عدة ، أو ما يسمى بأصول السنة، كما تقدم ذلك عن

---

(١) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص١٩٣- فما بعدها)، نقد مراتب الإجماع لابن تيمية (ص٢٠٣- فما بعدها).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٧).

البخاري، وغيره، حيث قال: "لقيت فيه أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: لقيتهم كرات قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون .

ثم سمى جماعة من الحفاظ والعلماء .

ثم قال: فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء، وسمى أصولا كثيرة[1] .

وكذلك ما ذكره قتيبة بن سعيد[2] في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، حيث قال: "هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة ، الرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره..."[3] .

فهذا حكاية منهم لإجماع أهل السنة في الأمور التي ذكرت من مسائل الاعتقاد ، وليس هو مجرد قول لهما أو لمشايخه أو أهل بلده[4] .

وهذا الإجماع الذي ذكره العلماء إنما حصل لتمسكهم بالكتاب والسنة وعدم معارضة ذلك بعقل معدوم ، أو ذوق موهوم، وهذا ما ذكره قوام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة حيث قال: "ومما يدل على

---

(١) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣ـ١٩٧).

(٢) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، أبو رجاء ، البغلاني، أحد الأئمة الأعلام، ثقة ثبت، مات سنة ٢٤٠هـ.

انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٥٥٥٧).

(٣) انظر: شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم (ص٤٠ـ٤١).

(٤) انظر: العلو للعلي الغفار للذهبي (ص١٢٨،١٣٢).

أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما ، وإن قل بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا"[1].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

المبحث الثاني: دلالة العقل الصحيح على مسائل الاعتقاد.

قد سبق وأن ذكرنا فيما مضى أن السلف قد اعتبروا العقل فيما يصلح له أن ينظر فيه، وقسموا الدليل السمعي والعقلي بالنسبة للعلوم على ثلاثة أحوال:

الأول: أن تعلم بالسمع فقط، وهو ما يعلم بمجرد إخباره، كتفاصيل البعث والحساب، مما لا يهتدي إليه العقل بحال، مع إقرار القلوب بصدق الرسول، وأنه أعلم الخلق بالحق، وأنصحهم إليهم وأشدهم رغبة في هدايتهم وتعليمهم.

الثاني: أن تعلم بطريق العقل فقط، وهذا لا يكون إلا في العلوم المفضولة كمرويات الطب والحساب، والحرف والصناعات.

الثالث: أن تعلم بالعقل والسمع، وهذه إما أن يكون الشارع قد هدى وأرشد إلى أدلتها العقلية، فتكون علوما شرعية عقلية، أو لا يكون قد هدى إلى أدلتها أي أخبر بها الشارع دون الإشارة إلى أدلتها العقلية، لكنها تعلم بالعقل أيضا، فهذه في وجودها نظر[1].

إن مذهب أهل السنة والجماعة كما أنهم يحتجون بصحيح المنقول في مسائل الدين، فإنهم يحتجون كذلك بالعقل الصحيح الموافق للمنقول في تقرير مسائل الاعتقاد.

وفي هذا المقام يقول الإمام ابن القيم: "إن السمع حجة الله على خلقه، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٣١_٢٣٢، ١٣/ ١٣٦_١٤٨).

العقل ، وأنزل إليهم من السمع والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه ، وكذلك العقل مع السمع فحجج الله وبيناته لا تتناقض ولا تتعارض، ولكن تتوافق وتتعاضد"[1].

وسيأتي مزيد تفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: موافقة النقل الصريح للعقل الصحيح.

منهج أهل السنة والجماعة قائم على التسليم لوحي الله تعالى ، وأن ما وافقه من العقل الصريح فإنه يستدلون به ، ويذكرونه تبعا للوحي المنزل من الله تعالى، فالعقل الصريح عندهم لا يتعارض مع النقل الصحيح بل يوافقه ويؤيده، ويعضده.

وذلك أن الله تعالى أقام الحجة على عباده بما ركب فيهم من العقل، وأنزل إليهم من السمع، وحجج الله تعالى لا تتناقض ولا تتعارض ، بل تتفق وتتعاضد.

وهذا ما قرره الإمام الشاطبي في الموافقات في فصل بديع[2].

فهذه القاعدة التي سطرها أهل العلم هنا هي المنهج الوسط بين مذاهب الناس، وذلك:

أن طائفة من الناس ـ وهم المتكلمون ـ ظنوا أن دلالة القرآن خبرية محضة، ليس فيها أدلة عقلية، فلما ظنوا هذا الظن أعرضوا عن

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١١٨٧).

(٢) انظر: الموافقات (٣/ ٢٧ـ٢٨).

أدلة القرآن ، وقدموا علم الكلام والمسالك الكلامية التي زعموا أنها عقليات وبديهيات، وهم متناقضون فيها، فمنهم المثبت ومنهم النافي.

كما أن طائفة من الناس لما رأوا انحراف المتكلمين في باب الاعتقاد أعرضوا عن أدلة القرآن العقلية، وأهملوها.

ولهذا فكان لكل طائفة منهم ملام في ترك شيء من الحق ، لكونهما أعرضتا عن الأصول التي بينها الله بكتابه[1] .

فأهل السنة والجماعة وسط في ذلك ، فقالوا : إن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، فاستدلوا بأدلة القرآن السمعية والعقلية، التي ترشد العقل وتوجهه إلى الحق بأقرب الطرق وأيسرها[2] .

قال ابن القيم: " والسلف رضوان الله عليهم أكمل الناس نظرا واستدلالا واعتبارا، وهم نظروا في أصح الأدلة وأقومها، فإن نظرهم كان في خير الكلام، وأفضله ، واصدقه، وأدله على الحق، وأوصله إلى المقصود بأقرب الطرق، وهو كلام الله ، وكانوا ينظرون في آيات الله الآفاقية والنفسية فيرون منها من الأدلة ما يبين أن القرآن حق فيتطابق عندهم السمع والعقل، ويتصادق الوحي والفطرة"[3] .

المطلب الثاني: مجالات العقل في مسائل الاعتقاد.

إن أهل السنة والجماعة قد بينوا وسطيتهم في الاستدلال بالعقل الصريح وما يوجبه من الدلالات في مجال الاعتقاد.

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (١/ ١٧٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ موضحا هذه الوسطية ـ : "بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك؛ لكونه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورا حيوانية ، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة ، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه"[1].

فالتفصيل في مسائل الاعتقاد لا يدرك بالعقل ، كصفات الله وأفعاله، وحقائق ما ذكر من أمور اليوم الآخر من بعث ، وحساب جزاء وما في الجنة وما في النار، فالعقل وإن كان لا يدرك حقيقة هذه الأشياء، إلا أنه لا يحيل ذلك ولا يمنع إمكان وجده.

ومن هذه المجالات التي علمت بالمقاييس العقلية إثبات وحدانية الله تعالى وربوبيته، وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة دالة عليها، بالدلالة الخبرية، وبالدلالة العقلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلاهية ـ وإن كان معلوما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٨ـ٣٣٩).

بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلاهية فهو أيضا معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية"[1].

ومن المسائل التي ذكرت أيضا في هذا الباب: ما احتج به الإمام أحمد وهو قياس الأولى في مناظرته للجهمية الذين ينفون استواء الله على عرشه ويقولون هو في كل مكان، حيث قال: " ومن الاعتبار في ذلك: لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف، وفيه شراب صاف كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله : ﴿ وله المثل الأعلى﴾ قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه"[2].

قال ابن تيمية: "ذكر الإمام أحمد حجة اعتبارية عقلية قياسية هي من باب أولى ، فضرب رحمه الله مثالا وذكر قياسا"[3].

والمسائل التي ذكرت في هذا الباب كثيرة[4].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٣٧).

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (ص٤٩).

(٣) نقض تأسيس الجهمية (٢/ ٥٤٦)، وانظر: درء التعارض (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد للشيخ سعود العريفي.

المبحث الثالث: دلائل الفطرة السليمة على مسائل الاعتقاد.

اعلم أن الله تعالى فطر عباده على الدين الحق ، وأنه خلقهم على محبته ورجائه وعبادته، وأن هذه الفطرة لو خليت وعدم المعارض لبقيت على حالتها من السلامة والاستقامة ، إلا أنه قد يعرض لها ما يغيرها أو يحرفها، ولذلك أرسل الله تعالى الرسل لتقويمها ، ولتفصيل الحق الذي هو مكنون في نفوس العباد.

فمسائل الاعتقاد موافقة في حقيقة الحال للفطرة، ولا تكاد تجد مسألة إلا والفطرة شاهدة لها بالصحة، ومن ذلك:

أولا: دلالة الفطرة على توحيد الربوبية.

إن الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته على خلقه أمر فطري ضروري، فطر الله قلوب عباده على ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمة: "وقد ذكرنا في مواضع أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مع كثرة دلائله وبراهينه"(١).

وقال أيضا في معرض بيان بعض هذه الأدلة: "وأما حدوث العالم فيمكن علمه بالسمع وبالعقل، فإنه يمكن العلم بالصانع إما بالضرورة والفطرة، وإما بمشاهدة حدوث المحدثات وإما بغير ذلك"(٢).

ويقول ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرهم عليها لا تقبل سوى الحق ولا تؤثر عليه غيره لو تركت، وأيدها بعقول تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها ما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٤٤)، وانظر: منهاج السنة (٢/ ٢٧٠).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٢٧٢_٢٧٣).

هو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملا، فالفطرة قابلة والعقل مزك والشرع مبصر مفصل لما في الفطرة، ... فاتفقت فطرة الله المستقيمة والعقل الصريح والوحي المبصر المكمل على الإقرار بموجود فطر هذا العالم بجميع ما فيه عاليه وسافله وما بينهما"[1].

ثانيا: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية.

فطر الله قلوب عباده على معرفته وأنه إنما خلقها لمحبة الله وتعظيمه وعبادته، والإخلاص له، لأن معرفة الحق تقتضي منهم ذلك.

فالرسل لم تأت أصالة لتعرف الناس بالخالق ووجوده ، وإنما أتت للدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك، وأتت لبيان أمر العبودية وتفصيله على نحو لا تستقل الفطرة بالعلم به، وإن كانت أصول العبودية معلومة في الفطر، فالشرائع: أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل، ونهي عن ظلم وهذا كله مركوز في الفطر، وكماله وتفصيله وتبيينه موقوف على الرسل[2].

ثالثا: دلالة الفطرة على توحيد الأسماء والصفات.

كما أن الخلق مفطورون على معرفة الله تعالى وأنه هو الذي يستحق العبادة، فهم مفطورون على أن الله تعالى هو أكبر وأجل

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧ـ١٢٧٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٢٨، ١٠/ ١٣٤ـ١٣٥)، دلائل التوحيد للقاسمي (ص١٤ـ١٦).

وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء، وهذا مستقر في قلوب العباد ممن سلمت فطرته من الانحراف[1].

ومن ذلك العلم بأن الله تعالى فوق العالم ، فطر العباد على ذلك، ألا ترى أن الخلق إذا ضر بهم أمر وشدة توجهوا بقلوبهم إلى الله يدعونه ويسألونه، فيرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، فتسمو قلوبهم صعودا إلى السماء، وتشخص أبصارهم إليها[2].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٧٢ـ٧٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٦٤ـ٢٦٥).

الفصل الخامس: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: دلالة الكتاب والسنة على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

المبحث الأول: تعريف المحكم والمتشابه.

المطلب الأول: معنى الإحكام والتشابه لغة.

أولا: معنى الإحكام في اللغة.

الإحكام اصله من حكم وهو يدور على معنيين:

المنع: والعرب تقول: حكمت وأحكمت، بمعنى منعت ورددت، ومنه الحاكم الذي يمنع الظالم من الظلم.

الإتقان: ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، والحكم: العلم والفقه[(١)].

فعلى هذا فالإحكام هو الفصل بين الشيئين فصلا متناسقا، بحيث يظهر منه إتقان الشيء وإحسانه لا اضطراب فيه ولا اختلاف[(٢)].

ثانيا: معنى التشابه في اللغة.

أصل التشابه من الشبة، والشبيه: وهو المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء إذا ماثله، وشابه الشيء الشيء وتشابها.

والمشتبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمر اختلط[(٣)].

ويكون الاشتباه ما فيه الالتباس من أجل المشابهة.

المطلب الثاني: تعريف المحكم والمتشابه عند أهل العلم.

اختلفت عبارات أهل العلم في تحديد معنى المحكم والمتشابه في الاصطلاح، وذلك من خلال وروده في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٥٠٣_٥٠٥).

عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[١].

وأهم الأقوال الواردة هنا:

أولا: المحكم ما عرف معناه والمراد منه.

والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، كوقت الساعة وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وغير ذلك.

حكاه القرطبي عن بعض السلف وهو اختيار ابن جرير[٢] الطبري[٣].

ثانيا: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا.

والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه.

حكاه بعضهم عن مجاهد وغيره، واستحسنه ابن عطية، وهو المنقول عن الشافعي وغيره[٤].

ثالثا: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان .

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام البارع العلم الفقيه المفسر المحدث المؤرخ، مات سنة ٣١٠هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ١٧٤ـ١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩ـ١٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٣/ ١٧٤ـ١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩ـ١٠)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥١).

والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

نسبه القاضي أبو يعلى[1] إلى عامة الفقهاء، واختاره[2].

إلى غير ذلك من الأقوال.

ويرى بعض أهل العلم أن هذا ليس اختلافا وإنما من باب إطلاقات اللفظ، فالإحكام عندهم على أنواع:

١ـ إحكام في التنزيل، ويقابله ما يلقيه الشيطان .

٢ـ إحكام في إبقاء التنزيل، ويقابله النسخ بالاصطلاح المعروف.

٣ـ إحكام في التأويل والتفسير، ويقابله المشتبه الذي يحتمل أكثر من معنى[3].

ولهذا قرر الشوكاني رحمه الله أن ما نقل في تعاريف المحكم والمتشابه ليس من باب الاختلاف، وذلك أن أهل كل قول قد عرفوا المحكم ببعض صفاته، وعرفوا المتشابه بما يقابلها، ولهذا يرى أن الذي يجمع ذلك كله هو:

المحكم : هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، الحنبلي البغدادي، أبو يعلى، العلامة الفقيه، شيخ الحنابلة في عصره، مات سنة ٤٥٨ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٥١)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٧٤ـ٢٧٥).

والمتشابه: ما لا يتضح معناه، أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا اعتبار غيره[1].

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٣١٤).

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

لقد وردت آيات عدة في هذا الباب تصف القرآن الكريم بأنه كله محكم، أنه كله متشابه، وفي موضع آخر منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

أما الإحكام الذي يعمه فمذكور في مثل قوله تعالى: ﴿ألر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[1].

قال قتادة: أي جعلت محكمة كلها، لا خلل فيها ولا باطل[2].

وقال ابن كثير: أي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل: صورة ومعنى[3].

ومعنى الآية أن القرآن كله محكم بمعنى أنه متقن مصون من الباطل والفساد صدق في أخباره، حق في أحكامه، عدل في وعده ووعيده، قال شيخ الإسلام: "فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، وتمييز الرشد من الغي في أوامره"[4].

وأما التشابه الذي يعم القرآن ففي قوله تعالى: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾[5].

قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني.

---

(١) سورة هود، الآية ١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٦٠).

(٥) سورة الزمر، الآية ٢٣.

وقال قتادة: الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف[1].

والمعنى أن القرآن متماثل الكلام فيه متناسب، بحيث يصدق بعضه بعضا ، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر بنظيره أو بملزوماته، وكذلك النهي، وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فالكلام المتقن يصدق بعضه بعضا، ويشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والعدل[2].

وأما الإحكام الخاص والتشابه الخاص فهو المذكور في آية آل عمران ، الذي سبق ذكر تعاريف أهل العلم فيهما.

ثم إن من الناس من لا يهتدي إلى المعنى المحكم، فيكون مشتبها عليه، ومنهم من يهتدي إليه، فالتشابه يكون نسبيا لبعض الناس دون غيرهم.

مسألة : نصوص الأسماء والصفات والمعاد ليست من المتشابه.

مذهب السلف وجوب الإيمان بنصوص الكتاب والسنة، والعمل بها، وبمقتضاها، وفهمها على مراد الله ومراد رسوله ﷺ سواء كانت في اللأسماء والصفات أو غيرها، فمن المعلوم أن القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر والجنة والنار والقصص، وبيان عاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر، فإن كان هذا كله من المتشابه ـ الذي لا يعلم أحد معناه ـ فسائر القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة، وفي هذا مكابرة ظاهرة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٦٠ـ٦١).

قال ابن تيمية: فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة[(١)].

والمراد من التأويل في آية آل عمران يكون بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر إذا كان مما يختص الله بعلمه، ولذا كانت قراءة الجمهور الوقف عند لفظ الجلالة، ومن ترك الوقف من العلماء كان التأويل عنده بمعنى التفسير والبيان وعليه يكون العلماء الراسخون في العلم يعلمون التأويل الذي بمعنى التفسير والبيان[(٢)].

فعلينا أن نفرق بين المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وبين قولنا المتشابه لا يعلم معناه إلا الله.

أما الأول فصحيح، فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، والمراد بالتأويل هنا هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر كما هو استعمال القرآن الكريم، وذلك كحقائق صفات الله وكيفيتها فهذه لا يعلمها إلا الله[(٣)]وأما الثاني: فباطل، وسيأتي بيانه.

فقد اختلف الناس في المراد بالمتشابه وعلى كل تقدير لم يقل أحد منهم إن المتشابه لا يعلم أحد معناه، ومن تعريفات المتشابه: أنه ما

(١) الفتاوى (١٣/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) انظر: الفتاوى (١٣/ ٢٩٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٢).

احتاج إلى بيان، وهو منقول عن أحمد وغيره، وهذا معلوم المعنى وإن لم يكن مقطوعا به.

ومن ذلك أيضا قولهم: المتشابه ما احتمل وجوها من المعاني، وهو منقول عن الشافعي، وهذا أيضا من جنس ما سبق.

وقيل: المتشابه هو القصص والأمثال وهي معلومة معانيها، إلى غير ذلك من التعاريف[1].

والمقصود من هذا كله أن الله تعالى هدى أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى، فلم يقولوا إن نصوص الأسماء والصفات من المتشابه، بل أثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، يثبتون له الأسماء الحسنى والصفات العليا بحقائقها ولا يكيفون شيئا منها، فإن الله تعالى أثبتها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده بذلك ولا أراده منهم، ولا جعل لهم إليه سبيلا[2].

(١) انظر: الفتاوى (١٧/ ٤٢٠-٤٢٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٤).

(٢) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٨٣).

المبحث الثالث: دلالة الكتاب والسنة على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

المطلب الأول: دلالة الكتاب على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

قال الله جل وعلا: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[1].

قال ابن سعدي: "فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس ، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا"[2].

المطلب الثاني: دلالة السنة على العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

ومن ذلك: قوله ﷺ : (إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)[3].

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠/ ٢٣٠)، رقم : ٦٧٠٢ ـ طبعة أحمد شاكر ـ ، وقد صححه المحقق.

ومما يعضد هذا ما جاء عن السلف أنهم يؤمنون بمتشابه القرآن ويعملون بمحكمه فمن ذلك:

ما قاله ابن عباس: "يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به، وهو من عند الله كله"[1].

وقال الحسن: "يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه"[2].

إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وقد قال كثير من السلف : إن المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به"[3].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ١٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان (١/ ٥٢٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٣٨٦).

الفصل السادس: رد التأويل لنصوص التنزيل.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف التأويل.

المبحث الثاني: اتباع النصوص وفهم المراد منها.

المبحث الأول: تعريف التأويل.

المطلب الأول: تعريف التأويل في اللغة

للتأويل معاني عدة يرجع إليها، من ذلك:

١ـ المرجع والمصير والعاقبة.

آل يؤول مآلا: أي رجع، ومنه آل الملك رعيته إذا ساسهم واحسن رعيتهم.

وقال الراغب الأصبهاني: التأويل: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا"[1].

٢ـ التغيير.

آل العسل والشراب إذا خثر ، والإيال : وعاء يجمع فيه الشراب أياما حتى يجود.

٣ـ التفسير.

أول الكلام تأويلا، قدره وفسره.

وهذا صنيع أبي عبيدة معمر بن المثنى، والطبري أيضا[2].

قال الطبري رحمه الله: "وأما معنى التأويل في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير"[3][4].

---

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي (٧/ ٢١٥).

(٢) انظر: مقدمة مجاز القرآن (١/ ١٨ـ١٩).

(٣) جامع البيان (٣/ ١٨٤).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٧ـ٤٤٢)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٩ـ١٦٢)، مجمل اللغة (١/ ٢١٧)، لسان العرب (١١/ ٣٢ـ٤٠)، تاج العروس (٧/ ٢١٤ـ٢١٦).

المطلب الثاني: تعريف التأويل في الاصطلاح.

للتأويل عند أهل العلم ثلاثة معاني:

أولا: التأويل: معنى العاقبة.

فتأويل ما أخبر الله تعالى به عما في الجنة مثلا من المآكل والمشارب والملابس والمناكح هو حقيقة ما عليه هذه الأشياء يوم القيامة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، على القول بالوقف في لفظ الجلالة، فالتأويل هنا معنى العاقبة.

وقال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾[(١)].

ثانيا: التأويل: بمعنى التفسير.

ومن ذلك قول النبي ﷺ لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[(٢)].

وقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حجة الوداع: (ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله)[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)، والشيخ أحمد شاكر.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ٢/ ٨٨٧، رقم: ١٢١٨.

ومنه هذا قول أبي عبيدة والطبري وغيرهما تأويل هذه الآية أي تفسيرها، وقد سبق التنبيه عليه.

ثالثا: التأويل عند الأصوليين المتأخرين.

الذي عليه الأصوليون أن التأويل له تعريف خاص به ، وهو قولهم: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح للدليل الصارف عن مدلوله الظاهر[1].

ومنه تأويل صحيح وتأويل فاسد.

فمن التأويل الصحيح:

قوله ﷺ : (الجار أحق بسقبه)[2]، فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، وحمل الجار على خصوص الشريك المقاسم حمل له على محتمل مرجوح، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح وهو قضاؤه ﷺ بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة[3].

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي (٢/ ١٩٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني (ص١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة، باب عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع، ٤/ ٤٣٧، رقم: ٢٢٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة، باب الشفعة فيما لم يقسم، ٤/ ٤٣٦، رقم: ٢٢٥٧.

المبحث الثاني: اتباع النصوص وفهم المراد منها.

مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه يجب على المسلم أن يتبع النصوص الشرعية ، وأنه يجب معرفة مراد المتكلم بكلامه، وذلك بأن يعلم أن ما قاله الله ورسوله ﷺ يجب أن يكون معناه حقا، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ومن كان مقصوده معرفة مراد الله ورسوله وسلك الطريق التي يعرف به ، فقد سلك سبيل الهدى.

قال ابن القيم: والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل أن يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم فهذا التأويل فيه مجال واسع، وليس في كلام الله ورسوله منه شيء من الجمل المركبة، وإن وقع في الحروف المفتتح بها السور، بل إذا تأمل من بصره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لدفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره، وهذا موضع لطيف جدا في فهم القرآن نشير إلى بعضه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر المؤكد الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة... وذكر عدة أمثلة في هذا الباب، ثم قال: وهذه أمثلة يسيرة ليعرف الفهم المنصف القاصد للهدى والنجاة منها ما يقبل التأويل وما لا يقبله[1].

واعلم أن الأصل في اللفظ هو الحقيقة والظاهر، وأن المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم بكلامه، وتثبيته ما في نفسه

(١) مختصر الصواعق (١/٦٦-٧٣).

من المعاني، ودلالته عليها بأقرب الطرق، وذلك موقوف على أمرين: بيان المتكلم وتمكن السامع من الفهم. فإن لم يحصل البيان من المتكلم أو حصل له، ولم يتمكن السامع من الفهم لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بين المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده، ولم يعلم السامع معنى تلك الألفاظ لم يحصل له البيان، فلا بد من تمكن السامع من الفهم وحصول الإفهام من المتكلم، فحينئذ لو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه أن يفهم مراده بما لا يدل عليه، بل بما يدل على نقيض مراده، وأراد منه فهم النفي بما يدل على غاية الإثبات وفهم الشيء بما يدل على ضده، وذلك بضرب من التأويلات الباطلة التي يعلم السامع قطعا أنها لم ترد بالخطاب بقصد المتكلم لها بتلك الألفاظ الدالة على نقيضها من كل وجه[1].

وقال ابن القيم رحمه الله ـ عند الكلام على باب الأسماء والصفات ـ: قد تطابقت نصوص الكتاب والسنة والآثار على إثبات الصفات لله، وتنوعت دلالتها عليها أنواعا توجب العلم الضروري بثبوتها، وإرادة المتكلم اعتقاد ما دلت عليه، والقرآن مملوء من ذكر الصفات، والسنة ناطقة بمثل ما نطق به القرآن مقررة له، مصدقة له مشتملة على زيادة في الإثبات، ...فمن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله على خلاف حقيقته وظاهره، ودعوى المجاز فيه

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣١٢-٣١٤)، مختصر الصواعق (١/ ٤٢).

والاستعارة، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها وهي: القدح في علم المتكلم بها، أو في بيانه، أو في نصحه[1].

ومما يبين أهمية هذا الموضوع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان: نوع ما جاء به الكتاب والسنة، فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب وأمر[2].

فعلى المخاطب معرفة مراد المتكلم بكلامه، وذلك بعد أن تبين له أن المتكلم عالم مبين ناصح أمين، ويريد الهداية والإرشاد، فاجتمع له كمال العلم والبيان مع تمام النصح والإرشاد، ثم إن كان المخاطب مريدا الانتفاع بالخطاب مبتغيا فهم المراد به فعليه أن يتصف بتمام الفهم وحسن القصد، فهذه أربعة أمور لحصول المقصود: البيان والنصح من المتكلم، والفهم وحسن القصد من المخاطب، فإذا كان المقتضي قائما والمحل قابلا حصل المقصود وتم المراد.

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٠-٣٢٤).

(٢) الفتاوى (١٢/ ١١٣-١١٤).

فلم يتنازع السلف في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، بحيث يشترك في فهم معنى آيات الصفات الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية[1].

ومما لا شك فيه أن المراد من نصوص الكتاب والسنة في الأسماء والصفات أن تصف الله تعالى بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ على وجه الكمال، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات المخلوقين، على نحو قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ومن معالم الاهتداء إلى مراد الله ومراد رسوله ﷺ جمع النصوص وأقوال السلف المتقدمين في الموضوع الواحد، والنظر في ذلك على اجتماعه؛ فإن النصوص يصدق بعضها بعضا، ويعضد بعضها الآخر، ولا يكون فهمه إلا كما فهمه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسيأتي مزيد بيان في الفصل القادم إن شاء الله.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٢١).

الفصل السابع: تقديم فهم السلف أهل القرون المفضلة للنصوص الشرعية واعتبار ذلك.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيان أن الصحابة ومن تبعهم بإحسان أولى الناس بفهم النصوص على مرادها.

المبحث الثاني: ذكر الأدلة على أخذ النصوص بفهم السلف.

المبحث الأول: بيان أن الصحابة ومن تبعهم بإحسان أولى الناس بفهم النصوص على مرادها.

إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا أقرب عصرا من النبوة وأعمق صلة بكلام الله ورسوله، وأصح لسانا، وأفصح بيانا، فلا شك حينئذ أن يكون فهمهم لنصوص الكتاب والسنة ـ ولا سيما ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد ـ أولى بالاتباع، والجدير بأن يلتزم بما التزموا به، والعمل بما عملوا.

قال ابن مسعود ﷺ: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء[1].

وهذه الخيرية لا شك أنها في كمال العلم وتمام الفهم عن الله ورسوله ﷺ، لملازمتهم للنبي ﷺ وشهودهم التنزيل، ولهذا كان كل من له لسان صدق مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة الصحابة[2].

فالصحابة أفقه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلهم تكلفا وأصحهم قصودا وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكا وأصفاهم أذهانا:

(١) أخرجه أحمد (رقم ٣٦٠٠ ـ طبعة أحمد شاكر ـ)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٣)، وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ١/ ١٧٧): رجاله موثقون، وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٢٨).

شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا مقاصد الرسول، وليس من سمع وعلم رأى حال المتكلم كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة، وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين قطعا على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة ـ أي فضيلة الصحبة ـ[1].

وذكر ابن القيم أن أهل السنة والحديث المشتغلين بعلم الرسول ﷺ وعلم بطانته من أصحابه وحواريه هم أعلم الناس بهذا الموروث، فتكون أحوالهم في الديانة علما وفهما وعملا واعتقادا لها ثقلها واعتبارها في فهم مراد الله ورسوله، ولهذا كان الأخذ بالفتاوى الصحابية والآثار السلفية أولى من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن أقربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر النبوة، ففتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين ...فكلما كان العهد بالرسول ﷺ أقرب كان الصواب فيه أغلب، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من أفراد المسائل[2].

فلما كان السلف بهذه المنزلة مع علمهم بلغة العرب وأنهم أرسخ فهما وأعمق إدراكا لمعاني كتاب الله تعالى، ممن جاء بعدهم إضافة إلى شدة حرصهم على حفظه وتعلم معانيه ومعرفة تفسيره من النبي ﷺ

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٧٩-٨٠، ٤/ ١٤٧-١٥٠).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١١٨).

فيما أشكل عليهم فهمه، كان ما فهمه الصحابة والسلف من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا تجد إماما في العلم والدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ....وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب"[2].

وقال أيضا: ومن آتاه الله علما وإيمانا علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم أن مذهب الصحابة دائما أرجح من قول من بعدهم"[3].

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٥٠٩).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٢٨).

(٣) الإيمان (ص٤١٧).

المبحث الثاني: ذكر الأدلة على أخذ النصوص بفهم السلف.

جاءت الأدلة متنوعة لبيان أن الأولى بالأخذ فهم السلف، وهي تتمثل في الاستدلال بالمنقول والمعقول:

المطلب الأول: دلالة النقل على الأخذ بفهم السلف.

أما من المنقول: فمن الكتاب والسنة وأقوال السلف.

أولا: أما من الكتاب:

فقال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، ووجه الاستدلال بالآية أنه تعالى أخبر أنه جعلهم أمة خيارا عدولا هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم، لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء وأمر ملائكته أن تصلي عليهم وتدعو لهم، والشاهد المقبول عند الله هو الذي يشهد بعلم وصدق فيخبر بالحق مستندا إلى علمه به، وبهذا تعلم أن الحق لا يعدوهم ويخرج عنهم، ويقال لمن خالف أقوالهم في الاعتقاد وغيره: لو كان خيرا ما سبقونا إليه[1].

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٣).

وقال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾، ووجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم فإذا قالوا قولا فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محمودا على ذلك، وأن يستحق الرضوان[1].

وقال تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾، وكل من الصحابة منيب إلى الله تعالى فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنهم منيبون إلى الله تعالى أن الله تعالى قد هداهم وقد قال: ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾[2].

ثانيا: من السنة:

قول النبي ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[3].

وهذه الخيرية خيرية دين وعلم وفضل، فلا يجوز أن تخلو هذه العصور من الحق والصواب، حتى يكون فيمن بعدهم، لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيرا من القرون الفاضلة، ولو في

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٢٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (رقم: ٦٤٢٨)، من حديث ابن مسعود.

هذا الوجه، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه، بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير[(١)].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

ثالثا: من أقوال السلف.

وأما أقوال السلف: فقد سبق قول ابن مسعود: "فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن....".

وقال أيضا: "من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"[(٢)].

وقال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.

ثم قال: ولو كان خيرا ما خصصتم به دون أسلافكم فإنه لم يدخر عنهم خير خبئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبيه ﷺ الذين اختارهم وبعثه فيهم، ووصفهم بما وصفهم به، فقال: ﴿محمد

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٦).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ١١٩)، وانظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣٩).

رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾[1].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (رقم: ٣١٥).

المطلب الثاني: دلالة المعقول على الأخذ بفهم السلف.

وأما من المعقول فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مـن المحال أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسـول الله ﷺ ثـم الذيـن يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين، وغير قائلين في هـذا البـاب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيـض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع:

أما الأول: فلأن من في قلبه حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسـؤال عنـه ومعرفـة الحـق فيـه أكـبر مقاصده وأعظم مطالبه ...وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بـالفطرة الوجديـة، فكيـف يتصور مع قيام هذا المقتضي ـ الـذي هـو مـن أقـوى المقتضيـات ـ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السـادة في مجمـوع عصورهـم؟ هـذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عـن الله، وأعظمـهم إكبابـا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى فكيف يقع في أولئك؟ أما كونهم معتقدين فيه غير الحق، أو قائليـه: فـهذا لا يعتقـده مسـلم ولا عاقل عرف حال القوم[1].

وبهذا يصل القارئ إلى نهاية الباب الثاني ممـا يتعلـق بالاسـتدلال ومصـادر التلقـي، وأن منـهج أهـل السـنة والجماعـة اتسـم في ذلـك بالتسليم للوحي المنزل من الله تعالى على رسوله ﷺ ، وعدم التعـرض

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص١٩٩-٢٠٢).

له بالرد أو التأويل الفاسد أو تحريف، بل يرون أن وحي الله تعالى كله من عند الله، فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ولا يعترضون على حكم الله ولا على حكم رسوله ﷺ ممتثلين في ذلك قوله جل وعلا: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية ٦٥ .

البَابُ الثَّالِثُ: خَصَائِصُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في العَمَلِ والتَطْبِيقِ.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: حصرهم الاتباع لرسول الله ﷺ فلا معصوم عندهم غيره.

الفصل الثاني: الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار مع الأمثلة العملية لذلك.

الفصل الثالث: الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه.

الفصل الرابع: تحذيرهم من المحدثات والبدع وذمهم لها، وموقفهم العملي من أهل البدع والأهواء.

الفصل الخامس: توسطهم بين الإفراط والتفريط مع بيان نماذج عملية لذلك.

الفصل السادس: قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصبرهم على الأذى فيه.

الفصل الأول: حصرهم الاتباع لرسول الله ﷺ فلا معصوم عندهم غيره.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاتباع.

المبحث الثاني: الأمر بالاتباع.

المبحث الثالث: الاتباع في العمل ونماذج من ذلك.

المبحث الرابع: الاتباع في الاعتقاد مع إبراز الجانب العملي فيه.

المبحث الخامس: الاتباع في القول مع إبراز الجانب العملي فيه.

المبحث الأول: تعريف الاتباع.

المطلب الأول: تعريف الاتباع في اللغة.

الاتباع أصل واحد والتاء فيها والباء والعين يأتي على معنى التُلُو والقفو.

يقال: تبعت فلانا إذا تلوته واتبعته وأتبعته إذا لحقته[1].

يقول ابن منظور رحمه الله: "اتبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال ، وتبعت الشيء تبوعا؛ سرت في أثره.

واتبعه وأتبعه وتتبعه: قفاه وتطلبه متبعا له.

والتابع التالي ، والجمع تبع ، وتباع وتبعة.

والتبع اسم للجمع .

والتبع يكون واحدا وجاعة ، وقوله عز وجل: ﴿ إنا كنا لكم تبعا﴾[2]، يكون اسما لجمع تابع .

ويكون مصدرا: أي ذوي تبع والتبعة والتباعة ما اتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها.

والتباعية : ملوك اليمن واحدهم تبع سموا بذلك ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضا ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر، تابعا له على مثل سيرته.

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٢٦).

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢.

وقيل: فلان متتابع العلم إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضا لا تفاوت فيه"[1].

وذكر بعضهم أن تبيع بمعنى الناصر ، تقول : وجدت على فلان تبيعا أي نصيرا ومتابعا.

واتبع القرآن ائتم به وعمل بما فيه[2].

ومن هذه النقول يظهر أن الاتباع في لغة العرب يدور على معاني متقاربة، وهي: الاقتفاء والاقتداء، واللحاق بالشيء ، والسير خلفه.

---

(١) لسان العرب (٨/ ٢٧).

(٢) انظر: تاج العروس (٥/ ٢٨٦).

المطلب الثاني: معاني الاتباع في القرآن الكريم.

لقد جاءت هذه الكلمة وتصاريفها في القرآن الكريم على وجوه عدة، أذكر منها:

أولا: الصحبة:

قال الله تعالى: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾[1]، أي هل أصحبك .

ثانيا: الاقتداء والمتابعة.

قال الله جل وعلا: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرا﴾[2]، أي اقتدوا به، وأطيعوه.

ثالثا: الثبات والاستقامة.

قال جل وعلا: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾[3]، أي دم واثبت عليها.

رابعا: الاختيار والموافقة.

قال الله تعالى: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٦٦.

(٢) سورة يس، الآية ٢١.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٣.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٥.

خامسا: العمل.

قال عز من قائل:﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾[1]، أي عملوا به.

سادسا: التوجه إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس في الصلاة قبل أن ينسخ.

قال تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ولا أنت بتابع قبلتهم ﴾[2].

سابعا: الطاعة.

قال جل وعلا: ﴿لاتبعتهم الشيطان إلا قليلا﴾[3]، أي لأطعتموهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٥.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.

المطلب الثالث: تعريف الاتباع في الاصطلاح.

إن نظرة سريعة في تعريف الاتباع اصطلاحا يعطي للقارئ نظرة عامة لهذا المصطلح وأنه في الحقيقة شامل لكل معالم الدين أصوله وفروعه، فنجد مثلا أن الإمام أحمد لما تكلم عن الاتباع يقول: "الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم من هو من بعد في التابعين مخير"[1].

فقد أشار رحمه الله إلى أمرين مهمين، مدار الاتباع عليهما: القبول، والانقياد، مع الأدلة على ذلك.

ولهذا قيل: "الاتباع : الائتمار بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ ، وترسم أفعاله، وأحواله ﷺ للاقتداء بها"[2].

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٠٠).

(٢) انظر: الاجتهاد والتقليد في الإسلام للدكتور جابر العلواني، (ص١١٤).

المبحث الثاني: الأمر بالاتباع.

قد تقدم طرق هذا الباب فيما سبق من نصوص الكتاب والسنة في الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وفي هذا المبحث إن شاء الله أذكر بعض الأدلة التي تقضي بوجوب الاتباع الذي أمر الله به في كتابه، ومن ذلك:

قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1].

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لمن يدعي محبة الله: إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صدقكم فيما تقولون من ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ابتلاء لهم[2].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: "هذه حاكمة على من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه، في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله"[3].

وقال جل وعلا: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي . قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) انظر: جامع البيان (٣/ ٢٣٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ أن يقول للمشركين والكفار أنه ما هو إلا عبد يمتثل أمر مولاه ويتبع ما أوحاه إليه[1].

وإذا كان النبي ﷺ لا يعمل إلا بالوحي فإنه ليس لأحد من أمته أيضا أن يعمل إلا بالوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ.

ومن هذا أيضا قول الله عز وجل: ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾[4].

ففي هذه الآيات وغيرها من النصوص أمر الله تعالى بالتأسي بالنبي ﷺ واتباعه في جميع شؤون الحياة، وذلك أن ما أوتيه ﷺ إنما هو وحي يوحى إليه من عند الله تعالى كما سبق تقرير ذلك.

ثم إن الله تعالى عصم الأنبياء كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، قال تعالى مذكرا بذلك في كتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[5].

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (٧/ ١٥٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية ٩.

(٤) سورة مريم، الآية ٤٣.

(٥) سورة الحجر، الآية ٩.

وقال جل وعلا: ﴿ألر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[1].

ومهما تآمر الأعداء على هذا الدين، وما قام به المستشرقون من التشويه للنبي ﷺ ولشريعته، ومهما تكالب أيدي الكفر ومؤتمراتها، فإن ذلك لم يؤثر في شيء من ديننا عقيدة وشريعة، فالقرآن باق كيوم أنزل على النبي ﷺ ، منزه عن الباطل محفوظ من الغلط والتحريف، ظاهر على كل شيء[2].

(١) سورة هود، الآية ١.

(٢) انظر: خصائص الشريعة الإسلامية (ص٣٨).

المبحث الثالث: الاتباع في العمل ونماذج من ذلك.

المطلب الأول: الأنبياء أول الناس اقتداء بالنصوص.

لما كان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه هم أعلم الناس بالله فإن ذلك يعني أن يكونوا قدوة لأممهم، وهم أولى الناس بالعمل بما علموا عن الله سبحانه وتعالى، قال جل وعلا: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(1).

وقد شهد الله لهم بالعمل أيضا فهؤلاء أنبياء الله إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام يقول الله تعالى عنهم: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾(2).

وهذا نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام يبين لقومه أنه عامل بما يأمرهم به، فيقول: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب﴾(3).

ونبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام يبين لصاحبي السجن هجره الشرك واتباعه التوحيد، فيقول: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون

---

(1) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(2) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(3) سورة هود، الآية ٩٣.

بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾[١].

والله تعالى أمر موسى وهارون عليهما السلام بالعمل فيقول في محكم تنزيله: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾[٢].

وكذلك يأمر الله تعالى نبيه داود عليه السلام ويخاطبه بقوله: ﴿أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾[٣].

وقال تعالى ممتدحا زكريا ويحيى عليهما السلام: ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا عابدين﴾[٤].

ويأمر الله جل وعلا أفضل أنبيائه محمدا ﷺ أن يقول لقومه ما أمر به شعيب عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾[٥].

(١) سورة يوسف، الآيتان ٣٧،٣٨.

(٢) سورة يونس، الآية ٨٧.

(٣) سورة سبأ، الآية ١١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٣٥.

فالله جل وعلا أمر عباده بالعمل بما اعتقدوه، فقال: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[1]، والفلاح يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[2].

وبهذه الآيات يتبين أن الأنبياء قاموا بالعمل خير قيام ، ودعوا أممهم إلى العمل وحثوا عليه، وليس كل عمل بل العمل الخالص لله الذي لا يشرك فيه معه غيره، ولا بد مع كونه خالصا لله تعالى أن يكون صوابا فالذي لم يأت به الشارع فهو مردود على صاحبه.وذلك أن العبادة لا تصح إلا بشرطين:

- الإخلاص، والمتابعة.

وعلى ذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وذلك أن الدين مبني على أصلين: أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا يعبد إلا بما شرع لا نعبده بالبدع"[5].

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٩٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٤) سورة الملك: الآية ٢.

(٥) مناسك الحج والعمرة (ص٧٨)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٣-٨٤٤).

وقال أيضا: "فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"[1].

وقال أيضا: "دين الإسلام مبني على أصلين من خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين، أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع، وهو حقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله"[2].

المطلب الثاني: منزلة الاتباع في الجانب العملي عند الصحابة ومن بعدهم.

إن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة بعد نبينا محمد ﷺ، وذلك لشهودهم ما لم يحضره غيرهم، ومعرفة التنزيل والحلال والحرام، والبر والتقوى، فكانوا المثل الأعلى في التطبيق العملي في الاقتداء بالنبي ﷺ واتباعه، ومن ذلك:

أولا: ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء منذ رأيت النبي ﷺ يستلمها.

(١) الفتاوى (٥/ ١٥٤).

(٢) تلخيص الاستغاثة (ص٥٣)، وانظر: الفتاوى (١٩/ ١٠٤)، أضواء البيان (٣/ ٣٧٣).

قلت لنافع[1]: أكان ابن عمر يمشي بين الركنين؟ قال: إنما كان يمشي ليكون أيسر لاستلامه)[2].

وفي رواية: (سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: قلت: أرأيت إن زحمت، أرأيت إن غلبت؟ قال: اجعل "أرأيت" باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله)[3].

ففي هذا الحديث ما كان السلف رضي الله عنهم من الصحابة ومن بعدهم من الحرص على اتباع سنته ﷺ وذلك تأسيا واستجابة

---

(١) هو نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله ، نافع بن هرمز، وقيل: ابن كاوس، قيل: من سبي خراسان، وقيل: من إيران، وقيل: من كابل، وقيل: من طالوقان، وقيل: من نيسابور، وقيل: من سبي العرب، والله أعلم.

تابعي جليل إمام ثبت، بعث عمر بن عبد العزيز إلى أهل مصر يعلمهم السنن وولاه على صدقات اليمن، قال عن نفسه: دخلت مع مولاي على عبد الله بن جعفر فأعطاه في اثنا عشر ألفا فأبى، وأعتقني أعتقه الله.

قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر.

توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل غير ذلك. روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة، و روى عنه الزهري، وعبيد الله بن عمر، وصالح بن كيسان، ومالك والكبار.

انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٨٤)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ١٢٣)، العبر للذهبي (١/ ١٧٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة، (٣/ ٤٧١)، رقم: ١٦٠٦، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف، (٢/ ٩٢٤)، رقم: ١٢٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ، في كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، (٣/ ٤٧٥)، ١٦١١.

لقول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[2].

وفي الحديث قال الراوي: (قلت لنافع : أما إن عبد الله يمشي إذا بلغ الركن اليماني، قال: لا إلا أن يزاحم على الركن فإنه كان لا يدعه حتى يستلمه)، وفي وقول ابن عمر ﵁ : (ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء، منذ رأيت النبي ﷺ يستلمهما)، يدل كل هذا على تمسك ابن عمر ﵁ بالسنة ومداومته عليها، وقد اشتهر عنه ذلك ﵁ ، وكذلك إنكاره على السائل له عن لو تعرض للمزاحمة أو الغلبة عن استلام الحجر بعد إجابته بأنه رأى النبي ﷺ يستلمه ويقبله، وتأكيده بأن رأى النبي ﷺ يستلمه ويقبله، فدل ذلك على حرص ابن عمر على اتباع سنة النبي ﷺ حتى ولو تعرض للمزاحمة وغيرها، قال ابن حجر: "والظاهر أن ابن عمر لم ير الزحام عذرا في ترك الاستلام"[3].

وهذا يدل على حرص الصحابة على التمسك بسنة النبي ﷺ وتطبيق ما شاهدوه منها.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٣) فتح الباري، (٣/ ٤٧٦)، وانظر: عمدة القاري، (٧/ ١٨٧).

ثانيا: ومن ذلك ما جاء عن عمر ﷺ : (أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)[1].

وفي لفظ: (أن عمر بن الخطاب ﷺ قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك، فاستلمه ثم قال: ما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه)[2].

ففي الحديث دليل واضح على ما كان عليه الصحابة ﷺ من الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع الأمور، وأنهم ما يفعلون ذلك إلا أسوة به ﷺ.

ففي تقبيل عمر ﷺ للحجر الأسود، وقوله: (ثم قال: ما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه)، قال العيني[3]: "إن قول عمر لذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، (٣/ ٤٦٢)، رقم: ١٥٩٧، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، (٢/ ٩٢٥)، رقم: ١٢٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة، (٣/ ٤٧١)، رقم: ١٦٠٥.

(٣) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، أبو محمد العيني، الحنفي، المؤرخ العلامة، من كبار أهل الحديث في عصره، مات سنة ٨٥٥ هـ.

طلب منه للآثار وبحث عنها وعن معانيها. ثم قال: ولما رأى أن الحجر يستلم ولا يعلم له سبب يظهر للحس، ولا من جهة العقل، ترك فيه الرأي والقياس، وصار إلى محض الاتباع، كما صنع في الرمل"[1].

وقال ابن حجر: "ومحصل كلام عمر بقوله: (ما لنا وللرمل) لأنه رضي الله عنه هم بترك الرمل في الطواف، لأنه عرف سببه، وقد انقضى، فهم أن يتركه لفقد سببه، ثم رجع عن ذلك لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطلع عليها، فرأى أن الاتباع أولى من طريق المعنى"[2].

فالحاصل مما سبق أن الاجتهاد في الجانب العملي كان متميزا عند الجيل الأول من الصحابة الأخيار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان، مواظبون عليه، وملتزمون به، فالسلف رضوان الله عليهم أعطوا المثل الأعلى في الاتباع وتحقيق العبادة وتقوية الإيمان في كل لحظة وحين، فإن نظرت إلى قلوبهم فهم أعرف الناس بالله، وإن نظرت إلى علومهم فهم أعلم الناس بالحلال والحرام، وإن نظرت إلى عبادتهم فهم أتقى الناس، وأرفعهم قدرا عند الله تعالى، وقد جسد هذا المعنى أبو الدرداء رضي الله عنه حيث قال: (إنك لن تكون عالما حتى تكون متعلما، ولن تكون بالعلم عالما حتى تكون بما علمت عاملا)[3].

انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٨٦)، الأعلام (٧/ ١٦٣).

(١) انظر: عمدة القاري (٧/ ١٦٥-١٨١).

(٢) فتح الباري (٣/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (رقم: ٢٢٠)، وابن سعد في الطبقات، (٢/ ٢٥٧)، ، وأبو نعيم في الحلية، (١/ ٢١٣)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل، (رقم: ١٧).

المبحث الرابع: الاتباع في الاعتقاد مع إبراز الجانب العملي فيه.

كما أن الأنبياء كانوا أول الناس في العمل بما علموه من الله تعالى فهم أيضا أول الناس في اتباع الاعتقاد الصحيح الذي أمر الله سبحانه وتعالى أن يبلغوه للناس، ألا وهو التوحيد وإنذار الناس عن الشرك، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١ـ أنه دعوة الرسل أولا وآخرا، وأول منازل الطريق، ومفتاح دعوة الرسل، وأخرها، ولأجله خلقت الخليقة، وما أرسل الرسل من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام إلا لدعوة الناس إلى التوحيد، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور العبودية لله تعالى، وكان كل رسول يقول لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[(٢)].

٢ـ أن دعوة الرسل واحدة: قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[(٤)]، ففي هذه الآيتان أن دعوتهم كانت واحدة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: (... والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ٥٣، ٥٥، ٦٥، ٥٨، سورة هود: الآية ٦٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

واحد)[1]، وهو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أحرص الناس على التوحيد ولو في المواطن الصعبة، فهذا النبي ﷺ كان يربي أمته على التوحيد من أول ما بدأ دعوته إلى أن مات ﷺ .

ومما يبين ذلك مما يبين قوة توكله ﷺ على ربه تعالى أن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أخبر: (أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد[2]، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه[3]، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله صلى

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (رقم ٢٣٦٥)، من حديث أبي هريرة.
قال ابن حجر: ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع. (فتح الباري ٦/ ٤٨٩).

(٢) نجد: بفتح النون وسكون الجيم، الأرض المرتفعة أما حدودها فهي تبدأ من منحدرات جبال الحجاز الشرقية، وتمتد شرقا إلى البصرة، وسواد العراق ، وبلفظ أعم هي الأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام وهي قسمان: غربي وشرقي، فما كان من مرتفعات اليمامة جنوبا وشمالا غربا فهو العالية وما انحدر من اليمامة شمالا وجنوبا شرقا فهو السافلة.
انظر: معجم الأمكنة التي ورد ذكرها في صحيح البخاري، لسعد بن جنيدل، ص٤٢١.

(٣) هو من شجر الشوك كالطلح والعوسج.
انظر: المصباح المنير (ص٢١٥).

اللهم عليه وسلم تحت سمرة[1] وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: إن هذا اخترط[2] علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت، وهو في يده صلتا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثا، ولم يعاقبه وجلس)[3].

وفيما يأتي يحسن أن أذكر بعض العبادات الواردة عن النبي ﷺ التي تتبين من خلالها مظاهر التوحيد.

مطلب: من مظاهر التوحيد.

من العبادات التي يتجلى فيها التوحيد نسك الحج، والذي يجتمع فيه عدد من الفضائل والمقاصد التي أناط بها الشارع نسك الحج، فهو مجتمع المسلمين من كل مكان، وقصدهم لبيت الله الحرام وطوافهم بالبيت في وقت واحد، وفي مكان واحد، ولا يعبدون إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

ومن تلك الأحاديث الواردة في هذا الباب أوردت بعضها اختصارا:

---

(١) سمرة: من السمر، وهو شجر الطلح وهو نوح من العضاه.

انظر: المصباح المنير (ص١٥١).

(٢) اخترط: من فعل خرط، تقول: خرطت الورق إلى حتته من الأغصان

انظر: المصباح المنير (ص٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر، (٣/ ١٠٦٥)، رقم: ٢٧٥٣ ـ طبعة البغا ـ، ومسلم في صحيحه، باب توكله على الله تعالى، (٤/ ١٧٨٦)، رقم: ٨٤٣.

أولا: قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبدا)[١].

وفي رواية: (أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)[٢].

في هذا الحديث مظهر من مظاهر التوحيد، والذي يظهر في تلبية رسول الله ﷺ في قوله: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)، حيث جعل التلبية لله تعالى خالصة، وعارض بذلك ما كان يقوله المشركون في تلبيتهم، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: (كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال فيقول رسول الله ﷺ : ويلكم قد قد، فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت)[٣].

والتلبية مجمع على القول بها، وأن المستحب المجيء بها بلفظها، واختلفوا في الزيادة عليها، فكرهه بعضهم، وأجازه الجمهور: لكون النبي ﷺ أقرهم على الزيادة ولم يرد عليهم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من أهل ملبدا، (٣/ ٤٠٠)، رقم: ١٥٤٠، ومسلم في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، (٢/ ٨٤١)، رقم: ١١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية، (٣/ ٤٠٨)، رقم: ١٥٤٩.

(٣) في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، (٢/ ٨٤٣)، رقم: ١١٨٥.

(٤) انظر: فتح الباري (٣/ ٤١٠).

فالحديث يدل على مظهر التوحيد في عباداته العملية، وذلك كي يستشعر المؤمن عظمة الله تعالى، ويكون بذلك أقرب إلى الإخلاص والموافقة للسنة، فيرجو بذلك قبول عمله من الله تعالى، وبخاصة في مثل تلك المواقف التي هي مظنة القبول والقرب من الله تعالى فيتجرد الإنسان فيها من ملابسه فيتذكر العرض الأكبر على الله سبحانه: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[1].

ثانيا: قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)[2].

وفي الحديث بيان لبعض مظاهر التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى، مشيرا بذلك إلى أركان قبول العمل ألا وهو الإخلاص والمتابعة، وأنه لا نجاة للعبد إلا بتحقيق التوحيد لله تعالى، قال تعالى:

---

(١) سورة الحاقة، الآية ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو؟ (٣/ ٦١٨)، رقم: ١٧٩٧، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحجر وغيره ٢/ ، رقم: ١٤٣٣.

﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[1]، وقال: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ الآية[2].

وذلك كله يرجع إلى تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله تعالى وأن محمدا عبده ورسوله، يشهد بأن الله تعالى هو المعبود حقا، وأن ما سواه فباطل.

قال القرطبي: "وفي تعقيب التكبير بالتهليل إشارة إلى أنه المتفرد بإيجاد جميع الموجودات، وأنه المعبود في جميع الأماكن"[3].

وقال ابن حجر: "مناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى، وأنه أكبر من كل شيء، فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله.

ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح لأنه من أسباب الفرج، كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبح في الظلمات فنجي من الغم"[4].

وقد ذكر ابن عمر في هذا الحديث ما كان يفعله ﷺ إثر عودته من السفر من تمجيد لله بالتكبير والتحميد، والتهليل، وإظهار الخضوع،

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ١٨٩).

(٤) المفهم للقرطبي (٣/ ٤٥٦)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١٨٨)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/ ٤٥٤).

والتوبة لله تعالى، قال القرطبي: "وتكبيره ﷺ في المواضع المرتفعة إشعار بأن أكبرية كل كبير إنما هي منه، وأنها محتقرة بالنسبة إلى أكبريته تعالى وعظمته"[1].

وقال المهلب: "تكبيره ﷺ عند الارتفاع استشعار بكبرياء الله وعندما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء"[2].

(١) المفهم للقرطبي (٣/ ٤٥٦).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣٦).

المبحث الخامس: الاتباع في القول مع إبراز الجانب العملي فيه.

كما أن الأنبياء حققوا التوحيد وطبقوه أحسن تطبيق فإنهم دعوا أقوامهم إلى ذلك، تلبية لأمر الله تعالى لهم بتبليغ هذا الدين، فكانوا صلوات الله عليهم وسلامه من أتبع الناس لأمر الله جل وعلا، ومما يبين الجانب العملي في ذلك دعوة أقوامهم إلى التوحيد ونبذ الشرك والتمسك بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومن ذلك قيامهم بالتبليغ والدعوة:

١ـ قال جل وعلا عن نوح عليه السلام: ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾[١].

٢ـ وقال تعالى عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿ ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾[٢].

٣ـ وقال جل وعلا عن صالح عليه الصلاة والسلام : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾[٣].

(١) سورة الأعراف، الآيتان ٦١،٦٢.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ٦٧،٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٩.

٤ـ ويقول الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[1].

بل شهد الله لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ، قال جل وعلا: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾[2].

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) سورة الجن، الآية ٢٨.

الفصل الثاني: الاقتداء بالسابقين من المهاجرين والأنصار مع الأمثلة العملية لذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة الصحابة إجمالا.

المبحث الثاني: منزلة الاقتداء عند الصحابة.

المبحث الثالث: الاقتداء عند التابعين.

المبحث الأول: مكانة الصحابة إجمالا.

الصحابة رضوان الله عليهم قد شهد لهم القرآن الكريم بالفضل العظيم، وبين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ما لهم من الخيرية، وذلك لما حضروا التنزيل وشهدوه، وهم أول من خوطب به من هذه الأمة، وسمعوا تفسير القرآن من رسول الله ﷺ قولا وعملا، فهم أعلم الناس بمراد الله سبحانه وتعالى، ولما كانت السعادة في اتباع الرسل فإن أولى الناس بالاتباع بعد الرسل هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، ولا أحد أعلم بحال المرسلين إلا أقرب الناس إليهم وهم أصحابهم الكرام.

يقول النبي ﷺ: (استوصوا بأصحابي خيرا، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها ، وباليمين قبل أن يسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)[1].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : "من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا في آثارهم،

(١) تقدم تخرجه ص ٥٦.

وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"[1].

ومن النصوص الواردة في فضلهم:

قول الله جل وعلا: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾[2].

وقد اختلف المفسرون في معنى السابقين :

فقيل: هم الذين أدركوا بيعة الرضوان.

وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين.

وقيل: أصحاب بدر.

وقيل: السابقون في الهجرة والنصرة[3].

قال ابن العربي: "وهو التقدم في الصفة، أو في الزمان أو في المكان، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قول النبي ﷺ : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله ، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا، والنصارى بعد غد)[4].

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٥٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، رقم: ٨٧٦.

فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان فجئنا بعدهم سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله والانقياد إليه، والاستسلام لأمره، والرضا بتكليفه، والاحتمال لوظائفه ، ولا تعترض عليه ولا تختار منه ولا تبدل بالآي شريعته كما فعل أهل الكتاب"[1].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[2] رحمه الله في تفسير هذه الآية : "صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات والفوز بها"[3].

واتباعهم يكون في كل شيء بالاعتقادات والأقوال والأعمال[4].

وقال ابن القيم: "إن الله تعالى امتن على من اتبعهم فإذا قالوا قولا فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم فيجب أن يكون محمودا على ذلك وأن يستحق الرضوان، ولو كان اتباعهم تقليدا لهم

---

(١) أحكام القرآن (٢/ ١٠٠٢).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن أحمد نوح الجكني الشنقيطي، أبو محمد، من الأئمة الفحول والأعلام ابارزين في هذا العصر، جمع الله له بين الفقه والأصول، والتفسير وعلوم اللغة، مات سنة ١٣٩٣ هـ.

انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عطية محمد سالم ـ في آخر أضواء البيان ـ ، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد الرحمن السديس.

(٣) أضواء البيان (٢/ ٤٧٤).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١٣٦).

محضا كتقليد بعض المنتسبين لم يستحق من اتبعهم الرضوان إلا أن يكون عاميا ، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ"[1].

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣)، وقد سبق التنبيه على بعض الأدلة في وجوب اتباع الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني: منزلة الاقتداء عند الصحابة.

لقد حظي الصحابة بكامل منزلة الاقتداء بالنبي ﷺ فقد حضروا نفسه وأنفاسه، وحفظوا عنه كل صغير وكبير من أمر الدين، ورأوا من أخلاق النبي ﷺ وتصرفاته ما يخولهم التقدم في الفضل في هذه الأمة، ولهذا تجدهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بسنة رسوله ﷺ .

ومما يمكن ذكره في هذا الباب من المواقف العملية للصحابة:

أولا: ما جاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال ـ عندما ارتدت العرب ـ : (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.قال عمر رضي الله عنه: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق)[1].

ففي هذا الحديث حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في كل صغيرة وكبيرة، حيث إن أبا بكر رضي الله عنه عزم على قتل المرتدين ولو منعوا عناقا أو عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ، لجاهدهم على الأخذ به اتباعا لسنة النبي ﷺ.

ثانيا: ما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه أيضا لما كان خليفة (أنه رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين[2]: بسم الله الرحمن الرحيم. هذه

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة، رقم ١٤٥٦، (٣/ ٣٢١).

(٢) البحرين: بفتح الباء، وإسكان الحاء على صيغة تثنية، والبحرين: اسم لإقليم معروف والنسبة إليه بحراني، وكان اسما لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت

فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها .)[1].

وفي حديث آخر :(كان خاتم النبي ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس[2] قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به، فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر، فلم نجده)[3].

فقد دل الحديث على عظم حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ، والحرص على اتخاذ خاتمه بعد موته، وأنه كان عند أبي بكر رضي الله عنه، ثم عند عمر رضي الله عنه، ثم عند عثمان رضي الله عنه، ثم فقد، ومن شدة حرصهم عليه أنهم بحثوا عنه ثلاثة أيام وما وجدوه.

هجر قصبته، وهي الهفوف اليوم، وتسمى حساء، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرو تواجه هذا الساحل ن الشرق كانت تسمى (أوال) وهي إمارة البحرين اليوم.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٣٧)، معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي (ص ٤٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، (٣/ ٣١٧)، رقم: ١٤٥٤.

(٢) بئر أريس: بفتح الهمزة وكسر الراء بئر بالمدينة بقباء، مقابل مسجدهت، قيل: نسبة إلى أريس رجل من المدينة من اليهود.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر؟ (١٠/ ٣٢٨)، رقم: ٥٨٧٩.

قال ابن حجر: "والذي يظهر أن عثمان ﷺ إنما بالغ في التفتيش لكونه أثر النبي ﷺ قد لبسه واستعمله وختم به، ومثل ذلك يساوي في العادة قدرا عظيما من المال، وإلا لو كان غير خاتم النبي ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك"[1].

ثالثا: عن ابن عمر رضي الله عنهما : (كان إذا صلى بالغداة بذي الحليفة[2] أمر براحلته فرحلت ثم ركب، فإذا استوت به استقبل القبلة قائما ثم يلبي حتى يبلغ المحرم، ثم يمسك، حتى إذا جاء ذا طوى[3] بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل وزعم أن رسول الله فعل ذلك)[4].

---

(١) فتح الباري، (١٠/ ٣٣٠).

(٢) ذو الحليفة: بضم الحاء وفتح اللام ميقات أهل المدينة، وهي قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، وتقع بوادي العقيق عند سفح جبل عير الغربي، وبها عدة آبار ومسجدان لرسول الله ﷺ المسجد الكبير الذي يحرم منه الناس، والمسجد الآخر مسجد المعرس. وتعرف اليوم بأبيار علي وقد ارتبطت بالمدينة

انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ١١٤)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٣٢٤)، معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي (٣/ ٤٩).

(٣) ذو طوى: وادي من أودية مكة يسيح في سفوح جبل ذاخر والحجون وغيرهما، وهو في أسفل مكة في جنوب طريق العمرة، ومسجد عائشة، ويعرف اليوم بآبار الزاهد.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١١٥)، معجم المعالم الجغرافية (ص ١٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الإهلال مستقبل القبلة، (٣/ ٤١٢)، رقم: ١٥٥٣، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب المبيت بذي طوى، (٢/ ٩١٩)، رقم: ١٢٥٩.

وفي لفظ: (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أراد الخروج إلى مكة ادهن بدهن ليس له رائحة طيبة، ثم يأتي مسجد الحليفة فيصلي، ثم يركب، وإذا استوت به راحلته قائمة أحرم، ثم قال: هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل)[(١)].

ففي الحديث بيان شاف لما كان عليه الصحابة من شدة الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وذلك أن المبيت بذي طوى مثلا ودخول مكة نهارا ليس من مناسك الحج، ولكن ابن عمر استحب أن يفعل في ذلك ما فعله النبي ﷺ تيمنا بفعله، واقتداء باختياره وتبعا لآثاره[(٢)].

قال القرطبي: "وهذا التحديد والتحقيق الذي صدر من ابن عمر في تعيين مواضع النبي ﷺ دليل على شدة عنايته، واهتمامه بآثار النبي ﷺ"[(٣)].

رابعا: ما جاء عن عروة قال: (سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾[(٤)]، فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الإهلال مستقبل القبلة، (٣/ ٤١٢)، رقم: ١٥٥٤.

(٢) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/ ٣٣٥)، عمدة القاري للعيني (٧/ ٨٣).

(٣) المفهم (٣/ ٣٧٣).

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾، الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما، ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن[1]، فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس إلا ما ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة ـ كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا، فهل علينا من حرج أن

---

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، اسمه كنيته، أحد فقهاء المدينة السبعة، ولد في خلافة عمر، استصغر يوم الجمل فرد هو وعروة بن الزبير، كان ثقة فقيها، كثير الحديث، عالما سخيا، عاقلا، يقال له: راهب قريش، لكثرة صلاته، قال عنه الذهبي: كان ممن جمع العمل، والعمل، والشرف. روى عن أبيه وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وغيرهم، وعنه ابناه: عبد الله، وعبد الملك، ومجاهد، والشعبي، وغيرهم. مات سنة ٩٤ هـ.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٠٧)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٤١٦).

نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما: في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفا والمروة، والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا، حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت)[1].

ففي الحديث دليل واضح على أهمية معرفة قدر الصحابة وأنهم أفقه الأمة بعد نبيها ﷺ، وفي قول عائشة: (بئس ما قلت)، دليل واضح على ذلك، قال المازري: "هذا من بديع فقهها ومعرفتها بأحكام الألفاظ، لأن الآية إنما اقتضى ظاهرها رفع الحرج عمن طاف بين الصفا والمروة، فليس هو بنص في سقوط الوجوب فأخبرته أن ذلك محتمل، ولو كان نصا في ذلك لكان يقول: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، لأن هذا يتضمن سقوط الإثم عمن ترك الطواف، ثم أخبرته أن ذلك إنما كان لأن الأنصار تحرجت أن تمر بذلك الموضع في الإسلام، فأخبرت أن لا حرج عليها وقد يكون الفعل واجبا، ويعتقد المعتقد أنه قد يمتنع من إيقاعه على صفة، وهذا كمن عليه صلاة ظهر وظن أنه لا يسوغ له إيقاعها عند الغروب، فيسأل فيقال له: لا حرج عليك إن

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله، (٣/ ٤٩٧)، رقم ١٦٤٣، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، (٢/ ٩٢٨)، رقم: ١٢٧٧.

صليت، فيكون هذا الجواب صحيحا، ولا يقتضي نفي وجوب الظهر عليه"[1].

خامسا: ما جاء عن عبد العزيز بن رفيع[2] أنه قال: (سألت أنس بن مالك ﷺ قلت: أخبرني بشيء عقلته عن النبي ﷺ: أين صلى الظهر والعصر يوم التروية؟ قال: بمنى، قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح[3]، ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك)[4].

وفي الحديث إشارة إلى فقه الصحابة رضي الله عنهم، وذلك أن أنسا رضي الله عنه بين لعبد العزيز بن رفيع السنة في بعض أعمال الحج، كما جاء في أحد روايات هذا الحديث: (سألت أنس بن مالك:

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، (١/ ٣٥٠)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض، (٤/ ٣٥٠)، شرح صحيح مسلم، للنووي، (٩/ ٢١).

(٢) هو عبد العزيز بن رفيع ،الأسدي، أبو عبد الله المكي، من أئمة الحديث بالكوفة، مات سنة ١٣٠هـ، وقيل غير ذلك، وقد جاوز التسعين.

انظر: تقريب التهذيب (رقم: ٤١٢٣).

(٣) الأبطح: اسم لمكان متسع بين مكة ومنى، وهو أقرب إلى منى، وهو البطحاء، وخيف بني كنانة، وهو المحصب أيضا.

واليوم فلا الأبطح ولا المحصب فقد زالت كل المعالم الجغرافية لهذه البقاع وقامت فيها المساكن والأسفلت.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٤٨)، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري لسعد بن جنيدل (ص١٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب أين صلى الظهر يوم التروية؟ (٣/ ٥٠٧)، رقم: ١٦٥٣، ومسلم في كتاب الحج، باب استحباب طواف الإفاضة يوم النحر، (٢/ ٩٥٠)، رقم: ١٣٠٩.

أخبرني بشيء عقلته عن النبي ﷺ أين صلى الظهر يوم التروية؟ قال: بمنى، قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح، افعل كما يفعل أمراؤك)، لكنه مع هذا لاحظ أمر جماعة المسلمين، وربما كان من أمر بعض الأمراء أن لا يقوم بما وردت السنة في ذلك، فخشي عليه مخالفة الجماعة، قال ابن حجر: "بين له المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ الظهر يوم التروية وهو منى، ثم خشي عليه أن يحرص على ذلك فينسب إلى المخالفة أو تفوته الصلاة مع الجماعة فقال له: صل مع الأمراء حيث يصلون، وهذا فيه إشعار بأن الأمراء إذ ذاك كانوا لا يواظبون على صلاة الظهر ذلك اليوم بمكان معين، فأشار أنس إلى أن الذي يفعلونه ذلك اليوم جائز وإن كان الاتباع أفضل"[1].

سادسا: ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنهما، قال: (أنه رمى من بطن الوادي، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، إن ناسا يرمونها من فوقها، فقال: والذي لا إله غيره، هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ﷺ)[2].

في هذا الحديث بيان لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من الاتباع وأنهم أول الناس اقتداء به ﷺ ، وقد ظهر ذلك جليا في هذا الحديث، حيث قال ابن مسعود: (هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب رمي الجمار من بطن الوادي، (٣/ ٥٨٠)، رقم: ١٧٤٧، ومسلم في كتاب الحج، باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي، (٢/ ٩٤٢)، ١٢٩٦.

البقرة)، قال العيني: "كأن ابن مسعود قال: "من هنا رمى من أنزل عليه المناسك وأخذ عنه الشرع فهو أولى وأحق بالاتباع ممن رمى الجمرة من فوقها"[1].

وهذا يدل من ابن مسعود على كمال اتباعه للنبي ﷺ.

سابعا: وأختم هذا بما جاء عن عمر رضي الله عنه في كتابه لأبي شريح حيث جاء فيه: (إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا تلفتك عنه الرجال فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد رأيك ثم تقدم فتقدم وإن شئت أن تأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرا لك)[2].

إلى غير ذلك من المواقف التي تبين حرص الصحابة الشديد على متابعة النبي ﷺ في كل أمور الدين دقيقه وجليله صغيره وكبيره.

---

(١) عمدة القاري (٧/ ٣٧٢).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه رقم (١٦٩)، والنسائي (٨/ ٢٣١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٦٦)، وغيرهم.

المبحث الثالث: الاقتداء عند التابعين.

كما أن التابعين الأخيار اقتفوا آثار الصحابة الكرام فتمسكوا بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة وهم الأصحاب الأطهار، بل كانوا يقدمون أقوال الصحابة على آرائهم ، ومن صور حرصهم على الاتباع ما سيأتي ذكره:

أولا: عن ابن سيرين أنه قال: كانوا يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر[1].

ثانيا: عن خالد بن أسلم[2] قال: (خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾[3]، قال ابن عمر رضي الله

(١) أخرجه الدارمي في سننه رقم: (١٤٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (رقم: ١٧٧٨)، وغيرهما.

(٢) هو خالد بن أسلم القرشي العدوي مولى عمر بن الخطاب، أخو زيد بن أسلم، كان أسن من زيد، يكنى أبا ثور، وكان أشد شاب بالمدينة، روى عن ابن عمر، وروى عنه زيد والزهري، وسفيان بن عاصم الأموي، وعبد الله بن سلمان الهذلي، قال الدارقطني: ثقة ليس بالمكثر.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ـ القسم المتمم ـ (١/ ٣١٦)، الكاشف للذهبي (١/ ٣٦٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٧٠).

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٤.

عنهما: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال)[(١)].

وفي رواية: (خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال)[(٢)].

فهذا الحديث يدل على ما كان عليه السلف من الحرص على التفقه في دين الله من الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة، وذلك أن أصحاب ابن عمر كانوا يخرجون معه، ويحلون حيث ما حل بغية تحصيل العلم وسؤاله عما خفي عليهم من أمور دينهم والاستزادة مما عنده من علم وفهم لدين الله تعالى.

ثالثا: عن نصر بن عمران الضبعي[(٣)]، قال: (تمتعت فنهاني ناس، فسألت ابن عباس رضي الله عنهما فأمرني، فرأيت في المنام كأن رجلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، لقول النبي ﷺ : (ليس فيما دون خمس أواق صدقة)، ١٤٠٤، (٣/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، كتاب التفسير، باب ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾، رقم ٤٦٦١، (٨/ ٣٢٤).

(٣) نصر بن عمران الضبعي، البصري، أحد الأئمة الثقات، قال بذلك ابن سعد والذهبي، وقال ابن حجر: ثقة ثبت، استصحبه معه الأمير يزيد بن المهلب إلى خراسان. مات في العراق في ولاية يوسف بن عمر، في آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثمان وعشرين ومائة. روى عن ابن عباس وابن عمر، وغيرهم، وعنه أيوب، ومعمر، وشعبة، والحمادان، وغيرهم.

يقول لي: حج مبرور وعمرة متقبلة، فأخبرت ابن عباس، فقال: سنة النبي ﷺ، فقال لي: أقم عندي فأجعل لك سهما من مالي.

قال شعبة[1]: فقلت: لم؟ فقال: للرؤيا التي رأيت)[2].

في الحديث دليل واضح على ما كان عليه السلف رحمهم الله من الرجوع إلى العلماء إذا وقعت لهم نازلة، فهذا أبو جمرة الضبعي، لما نهاه الناس في زمن ابن الزبير عن المتعة، لم يستقل برأيه بل رجع إلى العلماء، ولهذا ذهب إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس ليستفتيه في مسألته فأمره ابن عباس بالتمتع، وترك رأي أولئك، وأيضا لما عرضت

انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٥)، التاريخ الكبير (٨/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٤٣)، تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٠٠).

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري، مولى عبدة بن الأغر، وعبدة مولى يزيد بن المهلب الأزدي، أبو بسطام عالم أهل البصرة سكنها منذ الصغر، وانتقل إليها من واسط، من تابعي التابعين، قال عنه الذهبي: كان إماما ثبتا حجة ناقدا جهبذا صالحا زاهدا قانعا بالقوت رأسا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرح وعدل وهو إمام في الحديث. توفي في البصرة في أول سنة ستين ومائة، وهو ابن سبع، وقيل: خمس وسبعين رحمه الله.

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٨٠)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ١٤٤)، تهذيب الأسماء للنووي (١/ ٢٤٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التمتع والقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي، (٣/ ٤٢٢)، رقم: ١٥٦٧، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج، (٢/ ٩١١)، رقم: ١٢٤٢.

له الرؤيا ذهب إلى ابن عباس فسأله عن رؤياه قال ابن حجر: "وفيه عرض الرؤيا على العالم"[1].

رابعا: عن سالم بن عبد الله قال: (كتب عبد الملك إلى الحجاج أن لا يخالف ابن عمر في الحج، فجاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس، فصاح عند سرادق الحجاج، فخرج وعليه ملحفة معصفرة، فقال: ما لك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح إن كنت تريد السنة، قال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأنظرني حتى أفيض على رأسي ثم أخرج، فنزل حتى خرج الحجاج، فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة وعجل الوقوف، فجعل ينظر إلى عبد الله فلما رأى ذلك عبد الله، قال: صدق)[2].

ففي الحديث صورة ناصعة لما كان عليه السلف الصالح من الحرص على اتباع سنة النبي ﷺ، ومن التعاون على البر والتقوى، والحرص على نشر العلم لانتفاع الناس به[3]، كل ذلك طبقه في هذا الحديث الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التهجير بالرواح يوم عرفة، (٣/ ٥١١)، رقم: ١٦٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢)، عمدة القاري للعيني (٧/ ٢٥١).

قال ابن بطال: "في الحديث مداخلة العلماء للسلاطين وأنه لا نقيصة عليهم في ذلك إذا قصدوا النصيحة لهم وتبصيرهم بأمور دينهم، وتعليمهم الخير وما خفي عليهم من السنة"[1].

وفي الحديث أيضا جواز الذهاب من العالم إلى السلطان سواء كان جائرا أو غير جائر؛ لأجل إرشاده إياه إلى الخير وإيقافه على ما لا يعلم من السنة[2].

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٣٣٨)، فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢)، عمدة القاري للعيني (٩/ ٣٠٣).

(٢) انظر: عمدة القاري للعيني (٧/ ٢٥١).

الفصل الثالث: الولاء لأولياء الله والبراء من أعدائه.

وفيه: تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء.

المبحث الثاني: حقيقة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: حكم الولاء والبراء.

المبحث الرابع: ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالكفار في الولاء والبراء.

تمهيد:

الولاء والبراء من أنواع العبادة، التي أصلها الحب والبغض.

وولاء العبد إنما يكون لله ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، والبراء يكون من كل عدو لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعوا. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[1].

والولاء والبراء أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو الولاء لله والبراء من عدو الله، وبهذا اختص أهل الحق من بين سائر الفرق في هذا الباب .

وهذه الخصيصة قررتها نصوص كثيرة؛ منها قوله جل وعلا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي الفوم الظالمين﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات.

(١) سورة المائدة، الآيتان ٥٥ـ٥٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥١.

المبحث الأول: تعريف الولاء والبراء.

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء في اللغة.

الفرع الأول: تعريف الولاء في اللغة.

يطلق الولي على الناصر والتابع المحب والصاحب.

ويقال أيضا: الولي ضد العدو. والولاية النصرة والمحبة[1].

الفرع الثاني: تعريف البراء في اللغة.

البراء من برئ، إذا تخلص، وإذا تنزه، وتباعد، ويقال أيضا: برئ إذا أعذر وأنذر[2].

المطلب الثاني: تعريف الولاء والبراء في الاصطلاح.

الفرع الأول: تعريف الولاء في الاصطلاح.

يطلق في هذا الباب على التناصر والتعاضد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[3].

قال ابن كثير[4]: "أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[5][6].

---

(١) انظر: لسان العرب (١٥/٤٠٦)، القاموس المحيط (ص١٧٣٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٣١).

(٣) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٤) هو إسماعيل بن عمر بم كثير ، أبو الفداء، الدمشقي، الإمام الحافظ المفسر المؤرخ، مات سنة ٧٧٤ هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، معجم المؤلفين (٢/ ٣٨٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٤٢)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٥٦)، وانظر: الموالاة والمعاداة (١/ ٢٧).

فالولاية إذا هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام[1].

الفرع الثاني: تعريف البراء في الاصطلاح.

يطلق البراء على البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

قال الله تعالى: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله﴾[2].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم ، ثم ذكر الآية وقال: وشرعت العداوات والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم"[3].

فيظهر من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للولاء والبراء أنهما يدوران على المحبة والبغض، وحاصله المحبة والولاية لله ولرسوله ولأهل الإيمان، والكراهة والعداوة لعدو الله ورسوله وللكفار[4].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٠٣).

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٥).

(٤) انظر: الولاء والبراء (ص٩٢)، حقيقة الولاء والبراء (ص٢٧).

المبحث الثاني: حقيقة الولاء والبراء.

يتمثل منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب في نقاط عدة يمكن أن أذكرها على النحو التالي:

المطلب الأول: لا يتم الإسلام إلا بالبراءة مما سواه.

اعلم رحمك الله أن الإسلام لا يتم إلا بالبراءة مما سواه من الديانات، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام :﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[1].

وقال سبحانه ـ مبينا أن إبراهيم عليه السلام لنا أسوة ـ: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[2].

المطلب الثاني: الولاء والبراء إنما يكون لله تعالى.

الأصل في هذا الباب أن يوالي العبد كل من والاه الله، ويعادي كل من عاداه الله سبحانه وتعالى، ويتبرأ منه، قال تعالى: ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[3].

(١) سورة الزخرف، الآيات ٢٦ـ٢٨.

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣.

فالموالاة والمعاداة إذا يجب أن تكون لله عز وجل ، فإن من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فقد سلك الطريق التي بها تنال ولاية الله عز وجل.

المطلب الثالث: البراءة من صاحب الكفر و معاداة صاحب المعصية على حسب معصيته.

قال الله تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "إذا اجتمع في الرجل خير وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام ، والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم"[٢].

وسيأتي الكلام بتوسع على حكم موالاة الكفار.

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٢٠٩).

المبحث الثالث: حكم الولاء والبراء.

مما لا ريب فيه عند كل مسلم أن للولاء والبراء أهمية كبرى في عقيدة أهل السنة والجماعة، فإنها من العبادات العظيمة التي يكون ولاء العبد فيها لله ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، ويكون البراء من كل عدو لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

المطلب الأول: الأدلة على موالاة المؤمنين.

إن النصوص قد تظافرت في هذا الباب لتدل على أمر مهم وهو: وجوب ولاء المؤمنين، وأن الولاء إنما يكون للحق ، وسأذكر هنا بعض الدلائل الشرعية على ذلك، والتي تظهر الموالاة الحقيقية للمؤمنين.

الفرع الأول: حقيقة الولاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتجلى هذا الأمر في قول الحق جل وعلا: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1].

الفرع الثاني: الولاء في التراحم بين المؤمنين.

قال الله عز وجل: ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[2].

وقال النبي ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[3].

(١) سورة التوبة ، الآية ٧١.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) تقدم تخريجه قريبا.

الفرع الثالث: اللين وخفض الجناح بين المؤمنين من تمام الولاء .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[2].

الفرع الرابع: النصرة من حقيقة الولاء للمؤمن.

يجب على المؤمن أن ينصر أخاه أينما كان، وقد جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة؛

قال الله تعالى: ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾[4].

وقال النبي ﷺ: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[5].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا.

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الصور في الولاء للمؤمنين، والنصرة لإخوانهم المهاجرين، وغيرهم، فامتدحهم الله سبحانه بذلك في كتابه، فقال: ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٨٨.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، (٥/ ٩٨)، رقم: ٢٤٤٣.

وأنفسهم في سبيل الله والذيـن آووا ونصـروا أولئـك بعضـهم أولياء بعض﴾[1][2].

إلى جانب ذلك فإن نصرة مؤمن ليست مقتصرة على التأثر بحالـه فحسب دون الاكتراث بالجانب العملي، بل حقيقة الولاء تسـمو عـن ذلك، فترفع المؤمن بنصرته لأخيه المؤمـن بالدفـاع عنـه وكسـر شـوكة الظالمين، وبذل المال له لإعزازه ، وتقوية جانبه ، والـذب عـن عرضـه وسمعته ، والدعاء له بظهر الغيب بالنصر والتوفيق والسداد[3].

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر: حقيقة الولاء والبراء (ص٤٢).

المطلب الثاني: الأدلة على البراءة من أعداء الله.

دلت النصوص الشرعية على ما يجب أن يكون عليه المؤمنون من البراءة من الشرك والمشركين وكل أعداء الدين.

ومن هذا:

قول الله جل وعلا: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: "ومن اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده ودخوله في الكفر"[2].

وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾[3].

قال ابن عطية: "من تولاهم بمعتقده ودينه فهم منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العقد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٢) جامع البيان (٣/ ١٥٢).

وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٥).

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧.

ونحوه، دون معتقد ولا إخلال بإيمان ، فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه"[1].

وقال تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فأخبر أنك لا تجد مؤمنا يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب"[3].

---

(١) المحرر الوجيز (٢/ ٢٠٤).

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٧).

المبحث الرابع: ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالكفار في الولاء والبراء.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حكم موالاة الكفار.

المطلب الثاني: جملة من صور موالاة الكفار.

المطلب الثالث: حكم التشبه بالكفار..

المطلب الرابع: من صور التشبه بالكفار.

المطلب الخامس: ضابط التشبه بالكفار.

المطلب السادس: معاملة الكافر فيما ليس فيه موالاة.

أتطرق في هذا المبحث إلى أحكام عدة متعلقة بالكفار من أهل الكتاب وغيرهم، ومن أهم مسائل الباب موالاة الكفار والتشبه بهم، وما يباين ذلك من التعامل معه بالرفق ودعوته إلى الحق، وهذا ما سأعرض له من خلال المسائل التالية.

المطلب الأول: حكم موالاة الكفار.

تقدم مما سبق الأدلة على البراء عموما، إلا أنه لما كانت الحاجة ماسة إلى بيان الحق في هذه المسائل أحببت أن أؤكد على أمر مهم وهو: أن البراءة من الكفار واجبة، وأنه لا يجوز موالاتهم، وعلى هذا دلت النصوص الكثيرة؛

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٢) سورة الزخرف، الآيات ٢٦-٢٨.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ٥١، ٥٢.

وقال عز من قائل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾(٢)، الآية.

وقال سبحانه: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾(٣).

إلى غير ذلك من الأدلة الواردة.

المطلب الثاني: جملة من صور موالاة الكفار.

لما كان أصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض، وما ينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح المتفاوتة، فإن أحكام صور الموالاة تتفاوت، فمنها ما يصل إلى حد الردة والكفر، ومنها ما يكون من كبائر الذنوب، ومنها ما يكون محرما، وقد ذكر أهل العلم صورا من موالاة الكفار التي حرمها الله سبحانه وتعالى، أجملها فيما يأتي:

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

أولا: موالاة الكفار بالموادة والمناصرة، ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم.

ثانيا: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين وهذا حرام منهي عنه.

ثالثا: الثناء عليهم ومدحهم وتفضيلهم على بعض المسلمين في العمل وغيره، وإحسان الظن بهم، وهذا أيضا غير جائز.

رابعا: جعلهم في مناصب سلطة على المسلمين، وهذا محرم، فلا يجوز للمسلمين أن يولوا هؤلاء الكفار أي قيادة، وإن استعين بهم فإنما يكونون تحت سلطة المسلمين لخدمة مصالح المسملين[1].

وقد تقدم قريبا كلام الطبري وابن تيمية في هذا الباب .

المطلب الثالث: حكم التشبه بالكفار.

ومما ينبني على موالاة الكفار مسألة التشبه، وذلك أن التشبه في الظاهر يجر إلى التشبه بهم في الباطن، فيهلك الإنسان كما هلك من قبله من الكفار.

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله في بيان العلاقة بين الموالاة والتشبه: "والموالاة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم"[2].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٣/ ٢٢٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٧، ٤/ ١١٤، ٢٨/ ٢٠٩)، الرسائل المفيدة لعبد اللطيف آل الشيخ (ص٤٣، ٤٢، ٩٦)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣، ٣/ ١٢، ٦/ ٣٠).

وراجع : مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١١٤).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣).

وقد جاءت النصوص الكثيرة مشتملة على نهي النبي ﷺ عن التشبه بالكفار، وأن التشبه بهم حرام، وعلى المسلم أن يتجنب مشابهتهم في أموره كلها، في العبادات وغيرها، وذلك لأمور:

أولا: ورود النصوص الكثيرة التي تنهى عن مشابهة الكفار من اليهود والنصارى والأعاجم.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: (من تشبه بقوم فهم منهم)[1].

وهذا الحديث يقتضي تحريم التشبه بهم[2].

ويؤيد هذا ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم في النهي عن التشبه بالكفار، ومن ذلك: ما روى البخاري ومسلم[3] من طريق أبي عثمان النهدي قال: (كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا من كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم والتنعم، وزي أهل

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (٤/ ٣١٤) رقم: ٤٠٣١، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وقواه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٠)، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩)، وفي إرواء الغليل (١٢٦٩).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٣، ٢١٩ـ٣٢٤)، فقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية فيها النفس.

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه، رقم: ٥٨٢٨، و صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة ...، (٣/ ١٦٤٢)، رقم: ٢٠٦٩.

الشرك، ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير قال: إلا هكذا ورفع لنا رسول الله ﷺ إصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما).

وما علم أن أحدا خالف ما ذكر عن الصحابة من كراهة التشبه بالكفار والأعاجم في الجملة[1].

ثانيا: إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية ! فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكبر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان"[2].

ثالثا: إن للتشبه بالكفار أثرا عظيما في دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي بالكافرين، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة محذرة من التشبه بهم في عباداتهم وعاداتهم[3].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٨٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٩).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٧/ ١٦٣، ١٧٥ـ ١٨١).

المطلب الرابع: من صور التشبه بالكفار.

إضافة إلى ما سبق من بيان النهي عن التشبه بالكفار، فإن أهل العلم قد نصوا على صور كثيرة ـ يظهر فيها التشبه والتقليد للكفار وقع فيها كثير من الناس ـ تحذيرا للمسلم من اقترافها، وهي متعلقة بثلاثة أمور رئيسة:

١ـ جانب عقدي.

٢ـ وجانب العبادات.

٣ـ وجانب العادات والأخلاق.

أما الجانب العقدي فقد ابتليت الأمة بأمور كثيرة من هذا الباب ومنها: الغلو في الأنبياء والصالحين، وتحريف الكلم عن مواضعه، وطاعة المخلوقين في مخالفة أحكام الله، وبناء المساجد على القبور، والطواف بها إلى غير ذلك من المسائل.

وأما جانب العبادات فمنها:

إحداث الأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ ، تشبها بالأمم السابقة.

ومما يتعلق بهذا: تهنئة الكفار ببعض أعيادهم، قال الشيخ ابن عثيمين في بيان حكم ذلك" تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعياد دينهم الدينية حرام بالاتفاق.

وعلل هذا الحكم بأن فيه إقرارا لما هم عليه من شعائر كفر، ورضى به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره.

يقول الإمام ابن القيم ـ في بيان حكم ما سبق الكلام عليه ـ :

"وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب ...وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه"[1].

وأما جانب العادات والأخلاق، فكثير جدا، ومن ذلك الحسد والبخل ، وكتمان العلم، وغيرها[2].

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧١ـ٧٩، ٤٢٦ ـ فما بعدها).

المطلب الخامس: ضابط التشبه بالكفار.

إن مقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به ، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئا من خصائصهم، وأما ما انتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبه، فلا يكون حراما من أجل أنه تشبه، إلا أن يكون محرما من جهة أخرى[1].

وقد بين هذا أهل العلم ؛

قال ابن حجر في مسألة كراهية استعمال المياثر[2]: "وإن قلنا النهي عنها من أجل التشبه بالأعاجم فهو لمصلحة دينية، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهم كفار، ثم لما لم يصر الآن يختص بشعارهم زال ذلك المعنى فتزول الكراهة"[3].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٤٧).

(٢) كما ورد في حديث البراء ﷺ : (أمرنا النبي ﷺ بسبع: عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس، ونهانا عن لبس الحرير والديباج والقسي والاستبرق والمياثر الحمر). أخرجه البخاري رقم: ٥٨٤٩.

والمياثر: جمع ميثرة، قال أبو عبيد: مراكب العجم من ديباج وحرير، وقيل: هي وعاء يوضع على سرج الفرس أو رحل البعير، وقيل: تشبه المخدة تحشى بقطن أو ريش يجعلها الراكب تحته.

انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٠٧).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٣٠٧).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله[1] : "لا ريب أن ضابط التشبه بهم هو فعل ما هو من خصائصهم"[2].

---

(١) هو الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، آل الشيخ، مفتي الديار السعودية في عصره، وكان رئيسا للقضاة، مات سنة ١٣٨٩ هـ.

انظر: الأعلام (٥/ ٣٠٦)، علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام (١/ ٨٨).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ٢٣١).

المطلب السادس: معاملة الكافر فيما ليس فيه موالاة.

ومن تمام البحث في موالاة الكفار الإشارة إلى بعض المسائل التي يظنها بعض الناس أنها من الموالاة، فبين كثير من أهل العلم أنها ليست منه، ومن ذلك:

١ـ معاملة الكافر باللين والرفق[١].

٢ـ دعوة الكافر ونصحه.

إن الواجب على المسلم معاداة كل من حاد الله ورسوله ﷺ ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه، لما جاء في النصوص الكثيرة من النهي عن موالاة الكفار؛ قال الله جل وعلا: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[٢]، ولكن مع ذلك لا يمنع هذا من مناصحته ودعوته للحق[٣].

٣ـ استعمال الكافر عند الحاجة.

إن الاستعانة بالكفار على أمور دنيوية خدمة لمصلحة المسلمين سائغ إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٣١).

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/ ٣٠).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ١١٤).

إلى غير ذلك من المسائل التي تجدها مبثوثة في الكتب المتخصصة في الولاء والبراء، فليرجع إليها من أراد التوسع في هذا الموضوع.